التقرير الاستراتيجي الفلسطيني

2022 - 2023

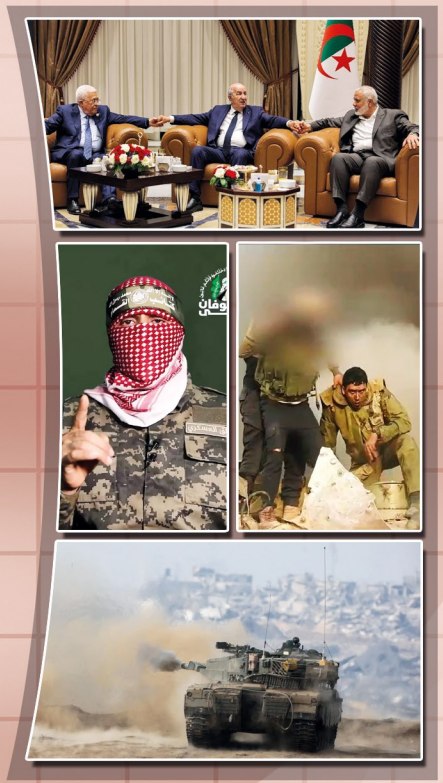

تحرير

أ. د. محسن محمد صالح

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني

2023–2022

مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

The Palestine Strategic Report 2022–2023

Editor:

Prof. Dr. Mohsen Mohammad Saleh

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

2024م – 1446هـ

بيروت – لبنان

ISBN 978-614-494-052-5

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: + 961 21 80 36 44

تلفاكس: + 961 21 80 36 43

ص.ب.: 14–5034 **بيروت – لبنان**

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net **الموقع:** www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

إخراج

ربيع معروف مراد

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023

تحرير

أ. د. محسن محمد صالح

مستشارو التقرير

أ. د. سامي العريان

أ. منير شفيق

أ. د. نظام بركات

المشاركون

أ. إقبال وليد عميش

د. باسم جلال القاسم

أ. ربيع محمد الدنّان

أ. ساري عرابي

د. سعيد وليد الحاج

أ. د. طلال عتريسي

أ. فاطمة حسّان عيتاني

أ. د. محسن محمد صالح

د. مهند مصطفى

أ. هاني "محمد عدنان" المصري

أ. وائل أحمد سعد

أ. د. وليد عبد الحي

مساعدو التحرير

إقبال وليد عميش

فاطمة حسّان عيتاني

رنا مصطفى جرجور

Al-Zaytouna Centre For Studies & Consultations

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

الفصل السابع

القضية الفلسطينية والعالم الإسلامي

القضية الفلسطينية والعالم الإسلامي

مقدمة

تُعدُّ منظمة التعاون الإسلامي من أكبر التكتلات السياسية في العالم فهي تضُم 57 بلداً، ولا يخفى أن دول هذه المنظمة متباينة في مواقفها تجاه قضايا الأمة الإسلامية، ومنها القضية الفلسطينية. وبالتالي فمن الصعوبة بمكان تغطية مواقف دول هذه المنظمة جميعها في فصل واحد في هذا التقرير. ولذلك، سنقوم بتغطية مواقف وفعاليات هذه المنظمة؛ كما سنأخذ نموذجين هما تركيا وإيران ليكونا محل الدراسة؛ مع استعراض عام لأبرز المواقف في بعض الدول الأخرى كإندونيسيا وماليزيا وباكستان؛ وكذلك استعراض التفاعل الشعبي مع قضية فلسطين، وملف التطبيع مع الكيان الإسرائيلي.

أولاً: منظمة التعاون الإسلامي

من الواضح أن واقع منظمة التعاون الإسلامي ما هو إلا انعكاس لواقع الدول المتكتلة في هذه المنظمة؛ فكلما ازدادت التباينات السياسية بين هذه الدول كلما غابت فعالية هذه المنظمة. ومن الواضح بأن شرخ التباين بين هذه الدول تجاه القضية الفلسطينية استمر في الاتساع خلال سنتي 2022–2023، خصوصاً مع موجة التطبيع بين دول إسلامية تُعدُّ مركزية ومؤثرة في تحديد سياسات منظمة التعاون التي لم تستطع أن تنصر القضية الفلسطينية في أزماتها المتكررة، ولم تسعَ بجدية لمنع الاعتداءات الصهيونية على الشعب الفلسطيني خلال سنتي 2022–2023. لذا، فإن المراقب يكاد لا يلمس أي تغيير إيجابي في مواقف المنظمة، بل قد يقول البعض بأن التغيير ازداد سلبية، خصوصاً في ظلّ الحرب الصهيونية على قطاع غزة أواخر سنة 2023.

لا يمكن أن تتغيَّب المنظمة، التي كانت القضية الفلسطينية عموماً والقدس خصوصاً سبباً في إنشائها سنة 1969، عن تفاصيل الأحداث ولو بالإدانة التي اعتادت على ممارستها تجاه الاعتداءات الصهيونية، حيث دانت الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي في كانون الثاني/ يناير 2022، مواصلة سلطات الاحتلال الإسرائيلي عمليات إخلاء وهدم منازل فلسطينية في حي الشيخ جراح بمدينة القدس المحتلة. ورأت المنظمة، في بيان لها، أن ذلك يأتي في إطار سياسات التهويد والاستيطان الاستعماري والتهجير القسري للعائلات الفلسطينية، والاستيلاء على ممتلكاتها، ما يشكل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي واتفاقيات جنيف.[1]

ومن جهة أخرى، رحّبت المنظمة بالتقرير الذي صدر عن منظمة العفو الدولية "أمنستي" Amnesty International، الذي وصف الكيان الإسرائيلي بأنه دولة فصل عنصري، ورأت أن هذا التقرير يُشكّل وثيقة قانونية دولية تؤكد طبيعة انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي وجرائمه وسياساته العنصرية ضدّ الشعب الفلسطيني. ودعت المنظمة أطراف المجتمع الدولي الفاعلة إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان مساءلة "إسرائيل"، القوة القائمة بالاحتلال، على انتهاكاتها وجرائمها وسياساتها العنصرية بحق أبناء الشعب الفلسطيني.[2]

وفي السياق ذاته، رحّبت منظمة التعاون الإسلامي، بقرار القمة الإفريقية المتعلق "بتعليق منح إسرائيل صفة عضو مراقب في الاتحاد"، معتبرة أن ذلك ينسجم مع المواقف التاريخية لدول الاتحاد الإفريقي الداعمة للقضية الفلسطينية العادلة، والمناهضة لسياسات الاستيطان الاستعماري والتطهير العرقي والفصل العنصري الذي تمارسه "إسرائيل" ضدّ الشعب الفلسطيني. وأكدت المنظمة أنه ينبغي عدم مكافأة الكيان الإسرائيلي، قوة الاحتلال، على انتهاكاته الجسيمة للقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة.[3]

وفي إطار مركزية القضية الفلسطينية والقدس، شدَّد إعلان إسلام آباد، الصادر في ختام أعمال الدورة الـ 48 لمجلس وزراء خارجية منظمة التعاون الإسلامي في آذار/ مارس 2022، على دعمهم المبدئي والمتواصل، وعلى جميع المستويات، للشعب الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه الوطنية المشروعة غير القابلة للتصرف، بما في ذلك حقه في تقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على حدود سنة 1967، وعاصمتها القدس. وجدّدوا التأكيد على أن القدس الشريف تمثّل جزءاً لا يتجزأ من الأراضي المحتلة للدولة الفلسطينية. ودعوا المجتمع الدولي إلى حمل "إسرائيل"، على الامتناع عن جميع الممارسات الاستعمارية والالتزام بجميع القرارات الدولية بشأن مدينة القدس الشريف والامتناع عن جميع التدابير والممارسات والقرارات الهادفة إلى تغيير طابع المدينة المقدسة ووضعها القانوني، من خلال تكثيف الأنشطة الاستيطانية اليهودية فيها والإبعاد القسري لسكانها العرب الفلسطينيين، والكفّ عن تدنيس المقدسات الإسلامية بما في ذلك الاعتداءات على القدس الشريف.[4]

وفي الاتجاه ذاته، أكد البيان الختامي للاجتماع الاستثنائي على مستوى المندوبين الدائمين في منظمة التعاون الإسلامي، الذي عُقد في نيسان/ أبريل 2022، لبحث الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى المبارك، على أن لا أمن ولا استقرار إلا بتحرير القدس من الاحتلال، وبعودتها إلى الشعب الفلسطيني وأمتها الإسلامية. ورفضت المنظمة لمحاولات الاحتلال الإسرائيلي فرض التقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى المبارك، وطالبت بالتحرك العاجل من المجتمع الدولي لوضع حدّ للانتهاكات الإسرائيلية بحق الأماكن المقدسة.[5]

لم تكن سنة 2023 أفضل مما كانت عليه سنة 2022 بالنسبة للقضية الفلسطينية، بل زادت الاعتداءات الصهيونية بعد تشكيل الحكومة الصهيونية الجديدة أواخر سنة 2022، وقد ضمّت هذه الحكومة الائتلافية أحزاب وشخصية يمينية متطرفة، مما زاد في هجمات المستوطنين على المقدسات والقرى والمدن الفلسطينية في الضفة الغربية، كما بات الخطر يُحدق بالمسجد الأقصى؛ خصوصاً مع الدعم الكامل الذي تَوفَّر للجمعيات الصهيونية التي تدعو إلى هدم الأوقاف الإسلامية في المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل المزعوم مكانه.

أمام هذا الواقع، أكد مؤتمر اتحاد مجالس الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي على دعمه لمطلب فلسطين للحصول على صفة دولة كاملة العضوية في هيئة الأمم المتحدة، وجدَّد البيان الختامي الصادر عن الدورة الـ 17 للمؤتمر، الذي عُقد في العاصمة الجزائرية أواخر كانون الثاني/ يناير 2023، التأكيد على الدعم الثابت للقضية الفلسطينية وحماية القدس، وعلى دعم الشعب الفلسطيني في سعيه لنيل حقوقه المشروعة وغير القابلة للتصرف، وحقه في تقرير المصير والعودة لأراضيه. كما دعا البيان الفصائل الفلسطينية إلى مواصلة جهودها وتعزيزها من أجل التصدي لسياسات الاحتلال الإسرائيلي وممارساته غير المشروعة.[6]

وعلى أثر قيام أحد وزراء الحكومة الصهيونية باقتحام المسجد الأقصى، عقدت المنظمة اجتماعاً استثنائياً مفتوح العضوية في 2023/5/24 في مقر الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي بجدة، حيث رأى المجتمعون أن ما قام به الوزير الإسرائيلي خطوة استفزازية تمسّ بمشاعر ملايين المسلمين حول العالم وتهدد الأمن والاستقرار في المنطقة، وشدّد المجتمعون أيضاً على أنه لا سيادة لـ"إسرائيل" على القدس والمقدسات، وبأن شرقي القدس أرضٌ فلسطينية محتلة.[7]

ولعل أبرز التطورات التي شهدتها القضية الفلسطينية خلال سنة 2023 معركة "طوفان الأقصى" التي بدأت في 2023/10/7، والتي قد تُعدُّ أكبر عدوان يشهده الشعب الفلسطيني منذ النكبة سنة 1948، وعلى الرغم من سقوط آلاف المدنيين في قطاع غزة وغالبيتهم من الأطفال والنساء، إلا أن المنظمة لم تعقد اجتماعها "الطارئ" على المستوى الوزاري إلا بعد أكثر من شهر من بداية العدوان، وهو ما يعكس عجز المنظمة عن دعم القضية الفلسطينية، وما يؤكد هذا العجز ما خرج به الاجتماع الذي لم يتعدّ التنديد والاستنكار والشجب دون القيام بأي خطوة عملية ولو بالحدِّ الأدنى، كإيصال المساعدات الضرورية لسكان قطاع غزة. وفي هذا السياق، أكد البيان الصادر عن القمة الطارئة على أهمية المحافظة على أرواح المدنيين كافة، وعدم استهدافهم بأي شكل من الأشكال، كما رفض البيان الدعوات لتهجير سكان قطاع غزة. وأعربت القمة عن استنكارها وأسفها الشديدين إزاء فشل مجلس الأمن الدولي، وعدم قدرته الاضطلاع بمسؤولياته باتخاذ قرار حاسم في سبيل إيقاف جرائم الحرب التي تنفذها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق

الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وعموم الأراضي الفلسطينية. وأعاد البيان التأكيد على أن السلام والأمن والاستقرار في المنطقة يتحقق بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي الاستعماري وممارساته القمعية بحقّ الشعب الفلسطيني وبتمكين الشعب الفلسطيني من حقوقه غير القابلة للتصرف، وتحديداً حقه في تقرير المصير والاستقلال والعودة، على أساس القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية.[8]

ثانياً: تركيا

جاءت معركة "سيف القدس" في سنة 2021 في ظلّ استمرار القطيعة الديبلوماسية بين دولة الاحتلال وتركيا، وعلى الرغم من ذلك كان تقييم الكثيرين بأن موقف الأخيرة لم يرْقَ للمنتظر والمتوقع منها، وصدرت بعض الانتقادات لهذا الموقف من قِبل المقاومة الفلسطينية في حينه.

صدرت مواقف شاجبة للعدوان الإسرائيلي من مختلف الأطراف الرسمية والسياسية والحزبية في تركيا، تقدمها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan، الذي وصف دولة الاحتلال بأنها "دولة إرهاب"، واتهمها بارتكاب جرائم حرب،[9] ودعا لتدفيعها ثمن الجرائم التي ترتكبها،[10] وحمّل الدول التي دعمتها مسؤولية مشتركة عن تلك الجرائم.[11] وقال الرئيس التركي إن بلاده "ستدعم القدس كما دعمت أذربيجان"،[12] وقدَّم مقترحات وصفت بالجريئة بخصوص وضع مدينة القدس والقضية الفلسطينية عموماً؛ مثل إدارة المدينة من قِبل هيئة مُشكَّلة من الديانات السماوية الثلاث، وتوفير حماية دولية للشعب الفلسطيني.[13]

وقد هاتف الرئيس التركي كلاً من الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية، إضافة لاتصالات مع عدد من قيادات الدول العربية والإسلامية والعواصم الغربية ضمن حراك ديبلوماسي نشط لإيقاف العدوان الإسرائيلي.

وعلى الرغم من هذا الموقف المتقدم، إلا أنه بقي دون المأمول من أنقرة فلسطينياً فيما يبدو، فأكدت التصريحات المقيّمة للموقف التركي بعد الحرب على هذا المعنى، وطالبت بما هو أكثر، بما يتناغم مع اختلاف الحرب عن سابقاتها، وكذلك بما يليق بتركيا كدولة إقليمية رائدة ومسلمة وصديقة للشعب الفلسطيني. ففي كلمة له، أكَّد يحيى السنوار قائد حركة حماس في غزة على تقدير الموقف التركي مطالباً بالمزيد،[14] ولم تَرِدْ تركيا ضمن الدول التي خصّها هنية بالاسم ضمن من شكرهم في نهاية الحرب،[15] وإن كان أكَّد على تقدير الموقف التركي في مقابلة صحفية لاحقة.[16]

وجاءت معركة "طوفان الأقصى" في تشرين الأول/ أكتوبر 2023 في ظلّ ظروف مختلفة تماماً تمثَّلت بالتقارب وعودة العلاقات الديبلوماسية التركية مع دولة الاحتلال وعدد من الدول العربية. ولذلك كان سقف الموقف التركي مختلفاً عنه في المواجهات السابقة بين الاحتلال والمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، على الرغم من أن الحرب كانت استثنائية جداً في شكلها ودوافعها من جهة، وما اقترفته الآلة العسكرية للاحتلال في غزة من جرائم ومجازر ضدّ المدنيين والبنى التحتية من جهة ثانية.

السياسة الخارجية التركية:

كان موقف أنقرة في طوفان الأقصى وما صدر عنها من تصريحات سياسية رسمية تكريساً لمتغير مهم في السياسة الخارجية التركية في السنتيْن الأخيرتيْن، وترك أثره على عدد من ملفات السياسة الخارجية ومن بينها القضية الفلسطينية والعلاقات مع "إسرائيل".

فمنذ نهاية سنة 2020 وبداية سنة 2021، وتزامناً مع انتخاب جو بايدن رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ومجيء إدارة ديموقراطية، بدأت تركيا في مسار مختلف في السياسة الخارجية هدفه الرئيسي التهدئة وتدوير زوايا الخلاف مع مختلف القوى الإقليمية التي كانت علاقاتها فاترة أو متوترة معها في العقد الماضي، وتحديداً محور السعودية – الإمارات – مصر. وينسحب الأمر نفسه على دولة الاحتلال التي تراجعت العلاقات الديبلوماسية معها إلى الحدِّ الأدنى إثر سحب تركيا سفيرها لدى الاحتلال، وإعلان سفير الأخير شخصاً غير مرغوب به على أراضيها سنة 2018، بعد قرار الرئيس الأمريكي حينها دونالد ترامب نقل سفارة بلاده للقدس، واستشهاد عشرات الشبان الفلسطينيين على يد القوات الإسرائيلية في غزة خلال قمعها مسيرات العودة.

وقد شهدت السنتان 2022 و2023 وصول هذا المسار لذروته مع الدول العربية، فعادت العلاقات الديبلوماسية والسياسية مع الدول العربية المذكورة وغيرها لسابق عهدها، ورُتِّبَت لقاءات وزيارات متبادلة معها على مستوى رؤساء الدول. حيث التقى الرئيس التركي بنظيره المصري على هامش افتتاح مونديال كأس العالم في قطر، وزار أردوغان كلاً من السعودية والإمارات، كما استقبل كلاً من ولي العهد السعودية محمد بن سلمان ورئيس دولة الإمارات (ولي عهد أبو ظبي السابق) محمد بن زايد، ووزير الخارجية المصري سامح شكري في أنقرة.

كما شهدت سنة 2023 عودة العلاقات مع دولة الاحتلال وتبادل السفراء بشكل رسمي بعد سنوات من القطيعة، وبعد تأكيد الجانبَين وجود إرادة سياسية لدى كليهما للوصول بالعلاقات الثنائية إلى "حالة مستقرة" لا تنقطع مستقبلاً.

كانت سنة 2023 سنةً للسياسة الداخلية التركية بامتياز، حيث طغت عليها الملفات الداخلية التي بدأت بالزلزال المدمر في شباط/ فبراير، واستمرت مع الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المصيرية في أيار/ مايو، وما رافقها من تركيز على الملف الاقتصادي وقضية اللاجئين والأجانب على الأراضي التركية وما تبعها من إجراءات تشكيل الحكومة، بالإضافة إلى الاستعدادات للانتخابات المحلية في الربع الأول من سنة 2024.

وقد أسهم هذا الزخم للملفات السياسية الداخلية في استمرار واستقرار مسار التقارب مع مختلف الأطراف في المنطقة ومن بينها دولة الاحتلال، والتأكيد على الرغبة في تجنّب الأزمات في السياسة الخارجية، والسعي لجذب الاستثمارات الخارجية.

التطبيع مع الاحتلال:

قطعت تركيا علاقاتها الديبلوماسية مع دولة الاحتلال في سنة 2010 بعد العدوان على سفينة "مافي مرمرة Mavi Marmara" في المياه الدولية واستشهاد متضامنين أتراك، ثم أعادتها سنة 2016 في اتفاق لتطبيع العلاقات بين الجانبين. وفي أيار/ مايو 2018، طردت أنقرة السفير الإسرائيلي من أراضيها، وسحبت سفيرها بعد الاعتداء على مسيرات العودة في غزة وقتل عشرات الناشطين الفلسطينيين بالإضافة إلى قرار نقل السفارة الأمريكية للقدس.[17]

بدأت منذ ذلك الحين أصوات في المعارضة تدعو لإعادة العلاقات الديبلوماسية مع الاحتلال والدول العربية الأخرى، التي شابتها أجواء سلبية أو متوترة في السنوات الماضية؛ وأُضيفت لها مع الوقت أصوات مقربة من الحزب الحاكم. الدوافع الرئيسية لهذا التوجه، أي استعادة العلاقات مع الاحتلال وتحسينها، تتمثل في تحرير الأوضاع الاقتصادية المتذبذبة من ضغوط أزمات السياسة الخارجية، وتهدئة مختلف الملفات جذباً للاستثمارات، وتجنُّبُ أي هزات اقتصادية مستقبلاً بسبب مواقف في قضايا المنطقة، بالإضافة إلى توخي علاقات أفضل مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال إعادة العلاقات مع "إسرائيل"، والرغبة في التعاون مع الأخيرة في ملف غاز شرق المتوسط.[18] ذلك أن ملف شرق المتوسط تحول لملف ذي أولوية لدى صانع القرار التركي في السنوات القليلة الأخيرة، لملامسته أمن الطاقة من جهة، والتنافس الجيوسياسي في المنطقة من جهة ثانية. حيث كانت اليونان قد تصدرت محوراً ضمّ كلّاً من مصر ودولة الاحتلال إضافة لدول أخرى وأسس لاحقاً منتدى غاز شرق المتوسط لتقاسم ثروات المنطقة، متجاهلاً حقوق تركيا التي تملك السواحل الأطول على شرق المتوسط.[19] ومنذ ذلك الوقت تسعى تركيا لمواجهة هذا المحور أو خلخلته وكسب بعض أعضائه لطرفها، ومن ذلك ترسيم الحدود البحرية مع ليبيا، وعرض أمر مشابه على مصر، ومحاولة إقناع دولة الاحتلال بتصدير غازها عبر تركيا لا اليونان.[20]

بدأت المساعي الأولى لإعادة العلاقات الديبلوماسية بين الجانبين عبر الاتصالات الهاتفية بين وزيرَي خارجية البلدين،[21] ثم زيارة وفود حكومية لتهيئة الأجواء لتطوير العلاقات.[22] ثم كانت الخطوة الأبرز في زيارة رئيس دولة الاحتلال إسحق هيرتزوج لأنقرة في آذار/ مارس 2022، والتي قال أردوغان عنها إنها "فرصة لإحياء التعاون في مجال الطاقة"، مؤكداً على إمكانية "التعاون في المجال الدفاعي"، كما عدَّها هيرتزوج نقطة تحول إيجابية في العلاقات بين الطرفين.[23] وخلال الزيارة، أكَّد أردوغان على دعم بلاده لحل الدولتين، ودعا هيرتزوج لتحسين ظروف الفلسطينيين قائلاً إنه شرح للأخير "حساسيات بلاده بخصوص القضية الفلسطينية"، بينما أقر الأخير بوجود خلافات بين الجانبين قد لا تحل تماماً لكن ينبغي ألا تَمنع تطوير العلاقات بينهما.[24]

استمر المسار بزيارة وزير الخارجية التركي آنذاك مولود تشاووش أوغلو Mevlüt Çavuşoğlu لدولة الاحتلال والضفة الغربية في أيار/ مايو 2022، والتي قال إنها "تهدف لتعزيز العلاقات مع إسرائيل"، وأكّد على وجود "العديد من الفرص لتحسين الشراكة في مجالات منها الزراعة والتكنولوجيا الفائقة والطاقة والسياحة".[25]

في تموز/ يوليو 2022، تبادل الجانبان الملحقَين الاقتصادي والتجاري،[26] وفي آب/ أغسطس 2022 اتَّفق الجانبان على تبادل السفراء،[27] والتقى أردوغان في أيلول/ سبتمبر 2022 برئيس وزراء الاحتلال يائير لابيد في نيويورك على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة،[28] وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2022 عيَّن شاكر أوزقان طورونلار Şakir Özkan Torunlar سفيراً لتركيا في تل أبيب،[29] وفي الشهر نفسه أعلن وزير دفاع الاحتلال بني جانتس عن استئناف التعاون الأمني بين الجانبين.[30]

قبل نهاية السنة، تلقّى أردوغان اتصالاً هاتفياً من رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو بعد سنوات من القطيعة، أكَّدا فيه على رغبة الجانبين في استعادة العلاقات والتعاون في مجال الطاقة.[31] وفي شباط/ فبراير 2023 استقبل أردوغان وزير خارجية الاحتلال إيلي كوهين وشكره على دعم "إسرائيل" لتركيا وتضامنها معها بعد الزلزال المدمر.[32] وفي أيلول/ سبتمبر 2023 التقى أردوغان بنتنياهو في "البيت التركي" في نيويورك على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو اللقاء الذي تقرر خلاله تبادل الزيارات دون تحديد مواعيد لها.[33]

خلال هذا المسار ركَّز السياسيون الأتراك على أن ملف غاز شرق المتوسط ركن رئيسي في عودة العلاقات، ونفوا مراراً أن تكون عودة العلاقات على حساب الموقف التركي من القضية الفلسطينية،[34] بل قالوا إن استعادة العلاقات مع الاحتلال هي لـ"الدفاع عن القضية الفلسطينية".[35] وحاولت أنقرة أن تظهر في موقف متوازن فشجبت الممارسات الإسرائيلية في

المسجد الأقصى مؤكدة أن القدس خط أحمر،[36] ودانت اغتيال الصحفية شيرين أبو عاقلة ودعت لتحقيق دولي،[37] لكنها من جهة أخرى دانت عمليات لشبان فلسطينيين في "إسرائيل"، وعدَّتها على لسان أردوغان "إرهابية شنيعة"،[38] كما وصفت عملية أخرى بـ"الإرهابية" على الرغم من وقوعها في شرقي القدس.[39]

وفي حين أوقفت السلطات التركية خلية اغتيالات إيرانية قيل إن هدفها اغتيال شخصيات إسرائيلية على الأراضي التركية،[40] فقد فكَّكت في المقابل كذلك عدة خلايا وشبكات للموساد.[41] كما استقبلت أنقرة عدة مسؤولين من دولة الاحتلال، واستقبل أردوغان كذلك الرئيس الفلسطيني محمود عباس مؤكداً على أن بلاده لا يمكنها "القبول بالممارسات التي تهدف لتغيير الوضع التاريخي للأماكن المقدسة، وفي مقدمتها المسجد الأقصى".[42]

طوفان الأقصى:

في 2023/10/7 أعلنت كتائب الشهيد عز الدِّين القسام، الذراع العسكري لحركة حماس، عن إطلاق عملية طوفان الأقصى التي تخلَّلها كسر الحدود والدخول للأراضي المحتلة سنة 1948، والإجهاز على قوة غزة التي تحاصر القطاع، والسيطرة على عدد من مستوطنات ما يسمى بغلاف غزة، والقتال فيها، والعودة للقطاع بعشرات الأسرى من جنود وضباط الاحتلال. كانت العملية مفاجئة لجميع الأطراف لا سيّما وأن شكلَها كان هجومياً ومبادراً، وبالتالي مختلفاً عن المواجهات السابقة بين الاحتلال والمقاومة الفلسطينية.

وقد عُدَّت العملية ضربة قوية للمنظومة العسكرية والأمنية الإسرائيلية، من حيث التخطيط والإعداد والتمويه، وكذلك من حيث التنفيذ وحصيلة الخسائر، على صعيد فقدان قوة الردع، وكذلك الخسائر البشرية المباشرة في الضباط والجنود وفي الآليات والمعدات. لأول مرة منذ عقود، أعلنت دولة الاحتلال حالة الحرب، واستدعت أكثر من 300 ألف من جنود الاحتياط.

وفي أول ردّ فعل تركي رسمي على العملية، دعا أردوغان "الإسرائيليين والفلسطينيين لضبط النفس، وتجنب الخطوات التي من شأنها تصعيد التوتر".[43] كما عبّر بيان صدر عن الخارجية التركية في اليوم نفسه عن "قلق تركيا العميق إزاء أعمال العنف والتوتر في إسرائيل"، كما دان البيان بشدة "إلحاق الخسائر في المدنيين"، داعياً الأطراف لضبط النفس، عارضاً المساعدة "بما تستطيع تركيا فعله".[44]

ومنذ الأيام الأولى التي تلت العملية، تباينت مواقف الأحزاب السياسية التركية المختلفة. ففي حين وصف حزب الشعب الجمهوري Republican People's Party، أكبر أحزاب المعارضة، حركة حماس بـ"المنظمة الإرهابية"،[45] ووصف الحزب الجيد İYİ PARTİ كذلك عملية 2023/10/7 بـ"العمل الإرهابي"، أيّدت الأحزاب الإسلامية المحافظة، مثل السعادة

Felicity Party والمستقبل Future Party والرفاه مجدداً Yeniden Refah Partisi والدعوة الحرة Free Cause Party، الجانب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية وحركة حماس على وجه التحديد بشكل مباشر وعلني.[46] أما المواقف والتصريحات الرسمية التركية فقد تركّزت على "رفض قتل المدنيين"،[47] والمطالبة بإطلاق سراح "الرهائن" لدى حماس،[48] والرغبة في لعب دور الوسيط بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي،[49] ودعوة "جميع الأطراف" للهدوء وعدم التصعيد. كما ركّزت وسائل الإعلام المقربة من الحكومة والحزب الحاكم، بالإضافة إلى المعارضة، على ضرورة بقاء تركيا على الحياد، وعدم تأييد طرف ضدّ آخر، ولعب دور الوساطة بشكل مشابه لدورها في الحرب الروسية – الأوكرانية. وادَّعت بعض التقارير الإعلامية، وخصوصاً في الإعلام العبري، بأن تركيا طلبت من قيادات حماس المقيمة على أراضيها مغادرتها، وهو ما نفاه الجانبان سريعاً.[50]

هذا الموقف التركي الرسمي المحسوب، كان مدفوعاً بعدة أسباب، أهمها:

1. شكل العملية الهجومي داخل الأراضي المحتلة سنة 1948، أي داخل "دولة إسرائيل" بالنسبة لتركيا.
2. حجم الدعاية الإسرائيلية المضلِّلة في الأيام الأولى للعملية، ولا سيّما ادّعاءات قطع رؤوس الأطفال واغتصاب النساء وما إلى ذلك مما ثبت كذبه لاحقاً.
3. محاولة تجنب أي توتر في السياسة الخارجية يمكن أن يؤثر على علاقات أنقرة الخارجية وبالتالي على اقتصادها.
4. التمسك بمسار التطبيع والتقارب مع دولة الاحتلال.
5. قراءة أولية بأن العملية مدفوعة بقرار إيراني بهدف التأثير على مسار التقارب بين تركيا ودولة الاحتلال.
6. ربما ظنت أنقرة أنها بموقف محايد يسعى لدور الوسيط يمكن أن تؤثر في مسار الأحداث وتسهم في وقف العدوان.
7. رغبة أنقرة بالتناغم قدر الإمكان مع مواقف الدول العربية المؤثرة في القضية الفلسطينية، وتحديداً مصر والأردن والسعودية والإمارات، وعدم التفرد بقرارات وتوجهات يمكن أن تعود عليها بأثمان سياسية واقتصادية وربما أمنية، بالإضافة إلى تأثيرها على علاقاتها مع أطراف ثالثة وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

لاحقاً، وتحديداً بعد بدء العملية الإسرائيلية البرية في قطاع غزة، تطوَّر الموقف الرسمي لتركيا باتجاه دعم أوضح للفلسطينيين وإدانة مباشرة للاحتلال. فقد دانت أنقرة استهداف

"إسرائيل" للمدنيين، وأسمت ما تفعله في غزة جرائم حرب،[51] ورفضت تصنيف حركة حماس "منظمة إرهابية"، وقالت إنها حركة تحرر وطني،[52] ثم أسمت دولة الاحتلال "دولة إرهاب"،[53] وتوعَّدت بمحاكمة نتنياهو، وتعهدت بطي صفحة التعامل معه.[54]

هذا التغيّر في الموقف الرسمي كان انعكاساً لعدة عوامل، أهمها:

1. حجم الجرائم التي ارتكبتها قوات الاحتلال في غزة، ولا سيّما ضدّ المدنيين.
2. انكشاف زيف البروباجندا Propaganda الإسرائيلية بخصوص عملية طوفان الأقصى في 2023/10/7.
3. قراءة أكثر عمقاً لدوافع العملية المرتبطة بالقضية الفلسطينية وليس بإملاءات خارجية.
4. صمود المقاومة الفلسطينية في الميدان، وظهور أنها عصية على الانكسار والهزيمة والاستسلام.
5. تناغماً مع نبض الشارع التركي المتضامن مع الفلسطينيين ومقاومتهم.
6. تأثير أحزاب المعارضة التركية ولا سيّما المحافظة منها التي قدّمت مواقف مرتفعة السقف مقارنة بالحكومة، ما سبّب للأخيرة حرجاً وتخوفات بخصوص الانتخابات المحلية القريبة.
7. النبرة الإسرائيلية الحادة تجاه تركيا عموماً والرئيس أردوغان على وجه الخصوص. حيث هددت المؤسسات الأمنية لدولة الاحتلال باغتيال قيادات حركة حماس في عدة دول من بينها تركيا، وهو ما ردّ عليه جهاز الاستخبارات التركي بتحذير مباشر من مغبة الإقدام على خطوة من هذا القبيل،[55] وأكّد أردوغان نفسه بأن "إسرائيل" ستدفع الثمن إذا ما فعلت ذلك.[56] وقد أوقفت السلطات التركية 33 مشتبهاً به بالتعامل استخباراتياً مع "إسرائيل" خلال أيام الحرب.[57]

ولذلك، نظَّم حزب العدالة والتنمية (Adalet ve Kalkınma Partisi (AKP)) The Justice and Development Party الحاكم مظاهرة حاشدة دعماً لغزة تحدّث فيها الرئيس أردوغان،[58] ونشطت الخارجية التركية في حراك ديبلوماسي مكثف، وتواصل وزير الخارجية هاكان فيدان Hakan Fidan مع قيادة حركة حماس واجتمع بها، واتصل أردوغان بهنية هاتفياً،[59] ونادت أنقرة بمسار سياسي يعتمد على فكرة الدول الضامنة مثل نموذج قبرص وجنوب القوقاز.[60]

ومن بين المواقف العملية التي أعلنت عنها تركيا؛ إلغاء زيارة أردوغان لدولة الاحتلال،[61] وتجميد الحوار بخصوص التعاون مع "إسرائيل" في مجال الغاز،[62] ولاحقاً استدعت أنقرة سفيرها في تل أبيب للتشاور، بعد أن كانت الأخيرة سحبت سفراءها من الدول العربية

والإسلامية تخوفاً من ردّات فعل شعبية، بعد مجزرة المستشفى الأهلي المعمداني.[63] أما مسار محاكمة نتنياهو الذي لوَّحت به تركيا مراراً، فلم تقدم فيه الحكومة على خطوة عملية، بينما تقدم محامون أتراك بطلب للمحكمة الجنائية الدولية باعتقال نتنياهو ومسؤولين إسرائيليين آخرين.[64] وأكَّد الرئيس التركي على أن بلاده لن تصمت عن الانتهاكات الإسرائيلية التي وصفها بالإبادة، مؤكداً أنها ستواجه الولايات المتحدة والدول الداعمة للاحتلال.[65]

وبالمجمل، وباستثناء استدعاء السفير وإلغاء زيارة أردوغان وتجميد الحديث بخصوص الغاز، والتي تبدو كتطورات طبيعية بعد نشوب الحرب، إضافة لاستضافة أنقرة عشرات من الجرحى الفلسطينيين في مستشفياتها،[66] بقي الموقف التركي في عمومه لفظياً وخطابياً، على الرغم من أنه حتى بهذه الحدود ظلّ متقدماً على مواقف العديد من الدول العربية. وبالتالي، لم يصل الموقف التركي الرسمي إلى مساحات عملية مؤثرة متعلقة بخطوات قانونية رسمية لمحاكمة نتنياهو أو تقديم شكوى لمحكمة العدل الدولية، لتوصيف ما يحصل في غزة على أنه إبادة جماعية (الخطوة التي اتخذتها لاحقاً جنوب إفريقيا)، أو قطع العلاقات الديبلوماسية مع "إسرائيل"، أو التأثير على داعميها، أو الضغط بخصوص العلاقات التجارية والاقتصادية معها بما في ذلك الغاز الأذربيجاني الذي يمرّ لدولة الاحتلال عبر تركيا.

أكثر من ذلك، فقد أسقطت أصوات نواب حزبَيْ العدالة والتنمية الحاكم وحليفه الحركة القومية Nationalist Movement Party مقترحاً قدَّمته بعض الأحزاب المعارضة لتدقيق البرلمان التركي في البضائع التي ما زالت تُصَدَّر من تركيا للاحتلال في زمن الحرب، ومدى تأثيرها على الأوضاع في غزة.[67]

وفي ظلّ تراجع وتيرة الحراك الديبلوماسي التركي، وتراجع حديث أنقرة عن الوساطة، والاكتفاء بالحراك الجماعي مع دول عربية وإسلامية أخرى كأحد مخرجات القمة العربية – الإسلامية المشتركة في الرياض، ومع التزام أنقرة إلى حدٍّ كبير بسقف الدول العربية الرئيسية المؤثرة في القضية الفلسطينية، يبدو أنها تدَّخر ما يمكن لها وما تريد أن تلعبه من أدوار لمرحلة ما بعد وقف إطلاق النار وانتهاء الحرب. والمقصود هنا عمليات الإغاثة التي تُجيدها تركيا؛ وقد حرّكت فعلاً عدداً من الحملات الإغاثية والطبية إلى مصر على مقربة من الحدود المصرية – الفلسطينية، وأعلنت عن نيتها بناء مستشفى ميداني داخل قطاع غزة؛ وعملية إعادة الإعمار التي تملك بخصوصها خبرة كبيرة وأداء موثوقاً؛ والمسار السياسي الذي يمكن أن ينشأ بعد انتهاء الحرب في غزة، والمرتبط بمقترحها وجود دول ضامنة للجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، وبحيث تكون هي ضمن الدول الضامنة للأخير.

فيما يتعلق بهذا المقترح، لم تعلن أنقرة حتى لحظة كتابة هذا التقرير عن الكثير من التفاصيل المتعلقة به، ويبدو أنه ما زال مقترحاً أولياً مطروحاً للنقاش مع عدة أطراف. لكنه يقوم على فكرة أساسية تقول إن وقف إطلاق النار بدون مسار سياسي موازٍ له سيعني تكرار المواجهات العسكرية والتصعيد مستقبلاً، وأن المسار السياسي ينبغي أن يقوم على حلّ الدولتين، لكن بمنطق مختلف هذه المرة. والمنطق الذي تطرحه تركيا هو أن يكون هناك وجود لدول وأطراف ثالثة في غزة خصوصاً والضفة الغربية أيضاً لفكّ الاشتباك بين الجانبين، ومراقبة الأوضاع، وضمان عدم حصول تصعيد، على شاكلة قبرص (الدول الضامنة تركيا، واليونان، وبريطانيا)، وجنوب القوقاز بين أرمينيا وأذربيجان (الدول الضامنة روسيا وتركيا)، وبدرجة أقل سورية (الدول الضامنة تركيا وروسيا).

***

وبشكل عام، فقد سعت تركيا للفصل بين العلاقات مع "إسرائيل" وبين سياساتها تجاه الفلسطينيين. وهذا يعنى أن تركيا لن تتورع عن انتقاد دولة الاحتلال في حال عدوانها على الفلسطينيين أو المقدسات، لكن ذلك لن يؤدي بالضرورة لقطيعة بين الجانبين كما حصل سابقاً. وهذا تحديداً ما حدث في الفترة التي يغطيها التقرير. غير أن نتائج الانتخابات المحلية التركية التي أجريت في آذار/ مارس 2024، والتي مُني فيها حزب العدالة والتنمية الحاكم بخسائر مؤلمة، وأعطت إشارات لعدم رضا الناخب التركي عن أداء الحزب الحاكم وأردوغان تجاه غزة وفلسطين؛ قد دفعت أردوغان وحكومته لاتخاذ إجراءات أكثر وضوحاً في دعم الفلسطينيين والمقاومة، وفي التصعيد ضدّ الجانب الإسرائيلي لدرجة تجميد العلاقات التجارية، ورفض استئنافها إلا بعد وقف العدوان على غزة، ودعم طلب جنوب إفريقيا ضدّ "إسرائيل" لدى محكمة الجنايات الدولية.

ثالثاً: إيران

قلبت معركة "طوفان الأقصى" التوقعات الاستراتيجية رأساً على عقب. فقد كانت القضايا التي شغلت الدوائر السياسية والأمنية والاستراتيجية طوال سنة 2022 وحتى لحظة الطوفان يوم 2023/10/7، هي أولاً عملية التطبيع المتنامي بين الدول العربية وبين الكيان الإسرائيلي، وكذلك توقعات ما ستفعله المملكة السعودية بشأن هذا التطبيع الذي يؤكد الجانب الإسرائيلي التقدم فيه، بحيث ساد الاعتقاد بأن المرحلة المقبلة هي مرحلة التحاق المزيد من الدول العربية والإسلامية بعملية التطبيع، والتي ستنعكس سلباً على أولوية قضية فلسطين بالنسبة إلى شعوب المنطقة. والحدث الثاني كان مواجهة جيش الاحتلال مع حركة الجهاد الإسلامي في معركة "وحدة الساحات" التي اندلعت في مطلع شهر آب/

أغسطس 2022، يُضاف إليها العمليات البطولية التي جرت في الضفة الغربية. ومن المهم أن نشير إلى أن فكرة "وحدة الساحات" سبق وأن شكّلت قلقاً لـ"إسرائيل"، التي اعترفت بصعوبة خوض حرب على أكثر من جبهة، وأنها "غير قادرة مطلقاً على احتمال أي مواجهة شاملة قد تضرب العمق الإسرائيلي من خلال العمل بوحدة الساحات الخارجية معاً".[68] وقال العقيد في الاحتياط كوبي ميروم Kobi Marom للقناة الـ 13 الإسرائيلية: "أعتقد أنّ هذه لن تكون صورة الحرب القادمة، فالتحدي يكمن في مواجهة حماس وحزب الله، لن تكون الحرب في ساحة واحدة بل ستكون في عدة ساحات، وأكبر بأضعاف، مع آلاف الصواريخ ضدّ الجبهة الداخلية ومئات الضحايا والأضرار".[69]

أما القضية الثالثة في سنة 2022، فكانت فشل التفاوض بين إيران والولايات المتحدة حول برنامج إيران النووي؛ ففي هذه السنة تواصلت المفاوضات النووية غير المباشرة بين إيران والولايات المتحدة، من دون التوصل إلى أيّ نتيجة، وقد أكد بعض المسؤولين الإسرائيليين أنهم مارسوا الضغوط على إدارة بايدن لعدم توقيع هذا الاتفاق. كما استمرت أيضاً لغة الوعيد والتهديد بالحرب العسكرية ضدّ إيران من الجانبين الإسرائيلي والأمريكي، تحت ذريعة "الخيارات المفتوحة" لمنع إيران من امتلاك القنبلة النووية.

ومع تعثر هذه المفاوضات، تراجعت نسبياً التصريحات والتهديدات الإسرائيلية بعمل عسكري ضدّ هذا البرنامج. وعندما أصبح رئيس الوزراء الإسرائيلي يائير لابيد مقتنعاً بأن الاتفاق أصبح غير مرجح بشكل متزايد، أعاد ترتيب أولويات تحديات الأمن القومي للتركيز على مواجهة المقاومة في الضفة الغربية، والحاجة الملحَّة لتعزيز السلطة الفلسطينية التي بدأت تفقد نفوذها بشكل متزايد.[70]

في الوقت نفسه، أعلن رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي The National Security Council (NSC) إيال حولتا Eyal Hulata، أن إيران ما تزال تشكل التحدي الأمني الرئيسي الذي يواجه بلاده، "وهو تحدٍّ متعدد الأبعاد"، جاء ذلك خلال حديثه في مؤتمر نظّمه المعهد الإسرائيلي للديموقراطية The Israel Democracy Institute. وأضاف حولتا: "يُعتبر النووي الإيراني والأنشطة الإيرانية في المنطقة من القضايا الرئيسية التي تتصدر جدول أعمالنا".[71]

واغتنمت "إسرائيل" من جهة ثانية، حركة الاحتجاجات في إيران، بعد وفاة الشابة مهسا أميني Mahsa Amini، التي اندلعت في الأشهر الأخيرة من سنة 2022. فقد نقلت وسائل إعلام إسرائيلية، عن خبراء في تل أبيب، تشديدهم على ضرورة استغلال ما وصفوه بـ"احتجاج الحجاب في إيران"، من أجل إسقاط النظام.[72]

وما يستحق التوقف عنده، من أحداث مهمة وذات تأثير استراتيجي في سنة 2022، هو عودة العلاقات بين حركة حماس وسورية بعد قطيعة بضع سنوات. وقد تعرّضت هذه العودة إلى نقاشات وانتقادات في أوساط عدة فلسطينية وعربية. ومن المعلوم أن إيران وحزب الله في لبنان لعبا أدواراً مباشرة في تقريب وجهات النظر بين الطرفين على قاعدة توحيد القوى كافة في مشروع المقاومة ضدّ الاحتلال الصهيوني. وقد بيّنت معركة "طوفان الأقصى" صوابية هذا الاتجاه على المستوى الاستراتيجي في توسيع جبهة المقاومة ضدّ "إسرائيل"، خصوصاً مع الحاجة بعد "طوفان الأقصى" إلى أوسع جبهة من الدعم والتأييد لحركة حماس وللشعب الفلسطيني في غزة.

وتابعت إيران رفضها وعلى مختلف المستويات لكل أنواع التطبيع مع العدو. فقد رأى وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان Hossein Amir-Abdollahian أن "قيام بعض الدول الإسلامية على تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، خيانة بحقّ القيَم الفلسطينية"، مؤكّداً بأن هذه الدول سوف تندم على فعلتها.[73] وفي يوم القدس العالمي، أكّد مرشد الثورة السيد علي خامنئي Ali Khamenei، أن "فلسطين بأجمعها تبدّلت إلى مسار المقاومة"، مشدِّداً على أنه "لا يمكن الوصول إلى أي حلّ بعيداً عن إرادة الشعب الفلسطيني، وهذا يعني سقوط كل الاتفاقات السابقة مع الاحتلال".[74]

محددات الموقف الإيراني:

1. تأكيد مركزية فلسطين في السياسة الخارجية الإيرانية، وخصوصاً فيما يتعلق بدعم المقاومة الفلسطينية، ورفض الاعتراف بالكيان الإسرائيلي.
2. المحدِّد الجيوسياسي، ورغبة إيران في تعزيز حضورها ونفوذها الإقليمي كقوة مركزية في المنطقة، وبالحفاظ على ما حققته من مكتسبات مهمة خلال السنوات السابقة.
3. الرغبة بالحفاظ على علاقات إيران الاستراتيجية مع القوى والحركات المحسوبة عليها أو المقربة منها في المنطقة، وخصوصاً تلك القوى المنتمية لخط المقاومة؛ والمحافظة على قوة ومكانة تلك الحركات، وضمان عدم خروجها من معادلة التأثير الإقليمي.
4. الرغبة بالحفاظ على منظومة الردع الإيراني وتعزيزها على المستوى الإقليمي، خصوصاً في إدارة العلاقة مع الكيان الصهيوني، والسعي لمراكمة القوة لكونها مصلحة إيرانية استراتيجية.
5. الحرص على تجنّب التَّورّط في حرب إقليمية واسعة، أو بمواجهة مفتوحة مع الولايات المتحدة التي سارعت لإرسال بوارجها الحربية إلى المنطقة، في رسالة واضحة لردع إيران عن الانخراط المباشر في المواجهة.

6. الصعوبات التي تواجه الاقتصاد الإيراني في ظلّ استمرار العقوبات الدولية، وارتفاع معدلات التضخم، وانخفاض قيمة العملة الإيرانية.

7. الأولويات الإيرانية المرحلية بخفض التصعيد مع الولايات المتحدة والدول الأوروبية، ومواصلة الانفتاح على الأطراف الإقليمية المؤثرة.

الموقف الإيراني من "طوفان الأقصى" والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة:

فوجئت إيران، كغيرها من الأطراف، بهجوم حركة حماس في 2023/10/7 على غلاف قطاع غزة، والذي جاء في توقيت دقيق وحساس بالنسبة لإيران، التي كانت قد وقّعت قبل ذلك بشهرين اتفاقاً لتبادل السجناء مع الولايات المتحدة، سمح لها بالوصول إلى 6 مليارات دولار من عوائدها النفطية المجمّدة في كوريا الجنوبية.[75] كما جاء الهجوم في ظروف توجّه إيراني لتجاوز التوتر في العلاقات الإقليمية، ومَثَّل الاتفاق مع السعودية في 2024/3/10 مؤشره الأقوى ومحطته الأهم.[76]

وقفت إيران بشكل عام إلى جانب المقاومة منذ بداية الحرب؛ غير أن الإعلان عن موقفها من معركة طوفان الأقصى اتَّسم بمراعاة الحسابات الدقيقة والتوازنات المعقَّدة، سعياً للحفاظ على المكتسبات وتعزيزها، وتجنّب الارتدادات والتداعيات السلبية المحتملة.

كما حرصت إيران منذ اللحظات الأولى وبكافة المستويات، على نفي صلتها بهجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر الذي نفذته حماس، وأكّدت أنه قرار فلسطيني مستقل اتخذته المقاومة الفلسطينية ضمن تقديراتها وحساباتها الذاتية. وفي الوقت نفسه، قدّمت القيادة الإيرانية بكافة هيئاتها (المرشد ورئاسة الجمهورية والحكومة، والجيش والحرس الثوري، والهيئات التشريعية ووسائل الإعلام...) دعماً سياسياً قوياً للمقاومة، واستقبلت وفود قيادية من حماس وقوى المقاومة، وتبنّت المقاومة وخياراتها والدفاع عنها في المحافل الإقليمية والدولية. وبالرغم من نفي مشاركتها في هجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر، فقد أشادت إيران بالهجوم وأكّدت دعمها للمقاومة الفلسطينية في معركة طوفان الأقصى، ووقوفها إلى جانبها في مواجهة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، وأعلنت تأييدها للخيارات السياسية والميدانية التي تتخذها المقاومة الفلسطينية في إدارة المعركة.

وأظهرت إيران منذ بداية المعركة رغبة واضحة في إنهائها، وبالتوصل لوقف إطلاق نار دائم في أسرع وقت ممكن، وبذلت الديبلوماسية الإيرانية بقيادة وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان جهوداً حثيثة لتحقيق ذلك. وبالرغم من حرصها على تجنّب الانخراط الميداني المباشر في المعركة، والحيلولة دون انزلاق المواجهة لحرب إقليمية واسعة، فقد شجّعت إيران القوى الحليفة والمقرّبة منها في لبنان واليمن والعراق على المشاركة المباشرة في المواجهة وإسناد

المقاومة الفلسطينية، وفق ظروف كل ساحة ومعطياتها. وكان واضحاً أن إيران لعبت دوراً مهمّاً وغير معلن في التنسيق بين الساحات المختلفة المشاركة في المواجهة. وعلى صعيد التفاعل الشعبي، شهد الشارع الإيراني حراكاً جماهيرياً واسعاً لدعم المقاومة والفلسطينيين في قطاع غزة، مماثلاً لحالة التعاطف الشعبي المتواصلة في العالم العربي والإسلامي.

***

ما إن أطلّ صباح اليوم التالي للعملية في 2023/10/8 حتى كان العالم والمنطقة قد دخلا مرحلة جديدة من الحسابات والتوقعات أربكت حلفاء "إسرائيل" ورعاتها الدوليين من الولايات المتحدة إلى الدول الأوروبية، الذين هددوا وتوعدوا إيران وحزب الله تحديداً إذا شاركوا في المواجهات ضدّ "إسرائيل" التي اندلعت بعد طوفان الأقصى. في حين خرجت الشعوب والجماهير في معظم الدول العربية والإسلامية إلى الشوارع وهي ترفع شعارات الدعم والتأييد والإخلاص لقضية فلسطين وللمقاومة فيها ومن أجلها.

وجهت "إسرائيل" منذ اللحظات الأولى لهذه العملية الاتهام المباشر إلى إيران، فقال الرئيس الإسرائيلي إسحق هيرتزوج "إن إيران تقف وراء الهجوم الذي شنّته حركة حماس ضدّ إسرائيل".[77] كذلك فعلت صحيفة وول ستريت جورنال التي أكدت "تورط إيران في التنسيق مع حركة حماس لشنّ عملية طوفان الأقصى".[78]

ربما كان الهدف من هذا الاتهام التقليل من قدرة حماس على تنفيذ مثل هذه العملية التي كشفت نوعين متناقضين من التراكم، الأول هو التراكم الإيجابي في قدرات حماس خصوصاً، من حيث الاستعداد والتدريب، والثبات، والتصميم، الذي أدى إلى نجاح مثل هذه العملية النوعية الاستثنائية، والثاني هو في تراكم التراجع السلبي في قدرة الردع الإسرائيلي، على امتداد العقود الثلاثة الماضية، وفي تراجع معنويات أفراد الجيش، وعدم الثقة بقيادته السياسية، الذي كشفته بشكل صارخ "طوفان الأقصى"، ما استدعى استنفاراً أمريكياً عاجلاً وتهديدات من بايدن إلى إيران، بعدم الانخراط في هذه المواجهة، حيث قال: "وأننا على استعداد لتوفير جميع سبل الدعم المناسبة لحكومة إسرائيل وشعبها"، وأن "لإسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها وشعبها". كما حذّر بايدن أي طرف آخر معادٍ لـ"إسرائيل" من السعي لانتهاز الفرصة في هذا الموقف.[79]

لكن الولايات المتحدة أثارت في الوقت نفسه الشكوك حول دور إيران فيما حصل، فقد أعلن مسؤول كبير في البيت الأبيض أنه "من المبكر جداً القول" إذا كانت إيران "متورطة مباشرة" في الهجوم الذي تشنّه حماس ضدّ "إسرائيل"، مشيراً إلى أن واشنطن ليس لديها حالياً "أي مؤشر" على ذلك، لكن "ليس هناك شكّ" في أن حماس "ممولة ومجهزة ومسلحة" من جانب نظام طهران.[80]

بادرت إيران من جهتها وعلى لسان مرشد الثورة السيد علي خامنئي، منذ اليوم الأول، إلى نفي أي دور لها في عملية "طوفان الأقصى"، وإلى تأكيد "أن المخطِط والمنفِذ وصاحب القرار هو فلسطيني... وأن الذين يقولون إنّ الملحمة الأخيرة هي من عمل غير الفلسطينيين مخطئون في حساباتهم... وأن ما حصل هو زلزال مدمّر نجح في تدمير الهياكل الأساسية للكيان، وتسبّب في هزيمة استخباراتية وعسكرية له لا يمكن ترميمها".[81]

هكذا نقلت ما قامت به حماس في عملية "طوفان الأقصى" النقاش والتحليلات والتوقعات الاستراتيجية من مسار التطبيع، والمفاوضات حول برنامج إيران النووي، ومستقبل قضية فلسطين، إلى النقاش حول مستقبل الكيان نفسه، بعدما نجحت حركة حماس في القيام بهذه العملية التي هزّت أركان الكيان على المستويات الأمنية والعسكرية، والتي كشفت حجم العجز في هذه المستويات عن توقع هذه العملية، أو التصدي لها وإفشالها.

باتت الأسئلة التي فَرضت نفسها بعد "طوفان الأقصى" هي عن قدرات المقاومة، وعن محورها، وعن الأوضاع الإقليمية والدولية، وعن احتمالات اندلاع مواجهة كبرى في المنطقة خصوصاً بعدما أرسلت الولايات المتحدة حاملة طائرات إلى البحر المتوسط لحماية "إسرائيل" ولتهديد أي طرف (إيران) من التدخل ضدّها.

سارعت إيران إلى تأييد هذه العملية بعد حصولها. لكن مرشد الثورة حرص في معرض الإشادة بها على التأكيد أن ما حصل هو عمل فلسطيني رداً على جرائم العدو، وليس لإيران أي دور لا في التخطيط ولا في التنفيذ. وفي كلمته خلال حفل تخريج دفعة من طلبة جامعات الضبّاط التابعة للقوات المسلّحة الإيرانية، قال مرشد الثورة: "نحن نُقبّل جباه وسواعد المخطّطين ذوي الدراية والأذكياء والشّباب الفلسطينيين، لكن أولئك الذين يقولون إن الملحمة الأخيرة هي من عمل غير الفلسطينيين مخطئون في حساباتهم"، وأكّد أن "هذا العمل الشجاع والتضحوي الذي قام به الفلسطينيون، كان ردّاً على جرائم العدوّ الغاصب التي استمرّت سنوات طويلة". وأشار إلى أن العدوّ المحتل بدأ سياسة التظلّم بعد أن تلقّى الصفعة، ويساعده آخرون ووسائل إعلام عالم الاستكبار، وهذا التظلّم كاذب ومناقض للواقع تماماً، لأن المجاهدين الفلسطينيين تمكّنوا من الخروج من حصار غزة، والوصول إلى المراكز العسكريّة والمدنيّة للصهاينة. وشدّد على أن الكيان الصهيوني "نظام غاصب غير مظلوم وظالم، معتدٍ جاهل متبجّح".[82]

ورأى مرشد الثورة في مواقف لاحقة أن "المعركة القائمة حالياً ليست معركة غزة و"إسرائيل" وإنما معركة بين الحق والباطل"، "وأن أهل غزة سينتصرون بالصّبر والتوكّل".[83] وفي لقاء مع النخب والمواهب العلمية الإيرانية أكّد السيد الخامنئي على الأبعاد التالية في عملية طوفان الأقصى:[84]

- أن الكيان الصهيوني لن يعوّض فشله الذريع بالجرائم التي يرتكبها.
- أن الولايات المتحدة، بحسب المعطيات المتاحة، هي من تنظّم سياسة الكيان الصهيوني، وهي متورطة بالجريمة وعليها تحمل المسؤولية.
- أن من استهدفتهم المقاومة الفلسطينية في المستوطنات ليسوا مدنيين بل جميعهم مسلحون.
- أن المجازر التي يرتكبها الاحتلال "أمام أعين العالم"، هي عملية "إبادة جماعية"، وطالب بـ"محاكمة الحكومة الإسرائيلية الحالية"، وأكّد على ضرورة إيقاف القصف الإسرائيلي على قطاع غزة فوراً.

وقال في لقاء آخر: "إن القضايا الأخيرة التي تشهدها فلسطين اليوم، وخاصة قصف غزة واستشهاد النساء والأطفال والرجال، تؤلم قلب الإنسان، لكن جزءاً آخر من هذه القضايا يؤشر على قوة الإسلام المذهلة في فلسطين، وأن هذه الحركة التي انطلقت في فلسطين ستتقدم وستؤدي إلى النصر الكامل للفلسطينيين".[85]

كذلك أكدت بعثة إيران لدى الأمم المتحدة ما سبق لمرشد الثورة أن قاله حول تنفيذ هذه العملية، وأن طهران لم تشارك في عملية طوفان الأقصى، وربط بيان البعثة بين هذه العملية وبين الدفاع المشروع عن النفس لحركة حماس وللشعب الفلسطيني. وأكدت البعثة: "ندعم فلسطين على نحو لا يتزعزع، لكننا لا نشارك في الرد الفلسطيني، لأن فلسطين فقط هي التي تتولى ذلك بنفسها".[86]

من جهته، صرّح قائد الحرس الثوري اللواء حسين سلامي Hossein Salami بعد العملية مباشرة: "اليوم لم يعد بإمكان إسرائيل أن تعربد كما في السابق وانتهى زمن غطرستها". وتابع قائلاً: "انتهى زمن الاحتلال والاعتداء، والفلسطينيون أدخلوا الرعب في قلوب الصهاينة وباتوا يلاحقونهم ويأسرونهم ويدافعون عن حقوقهم بكل فخر واعتزاز"، وأضاف: "إسرائيل الجديدة باتت ذليلة وضعيفة وهي نحو الزوال".[87] وفي تصريح آخر قال قائد الحرس الثوري أن ما حدث غير مسبوق، وجاء "خارج نطاق كل النظريات وتوقعات العلماء والمفكرين والسياسيين"، وأن طوفان الأقصى "يشكل أكبر هزيمة في تاريخ الاحتلال الإسرائيلي منذ تأسيسه عام 1948 إلى الآن، وأكبر انتصار للنضال الفلسطيني".[88]

على صعيد آخر، وعلى مستوى التنسيق والتشاور بين حركة حماس وبين إيران، التقى مرشد الثورة برئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية في طهران. وقالت وسائل الإعلام الإيرانية أن هنيّة "أطلع خامنئي على آخر التطورات في قطاع غزة وجرائم النظام الصهيوني

في غزة، وكذلك التطورات في الضفة الغربية". وقال التلفزيون الرسمي الإيراني "أشاد آية الله خامنئي بثبات سكان غزة وصمودهم، وعبَّر عن أسفه الشديد بسبب جرائم النظام الصهيوني المدعوم مباشرة من واشنطن وبعض الدول الغربية"، ودعا الدول الإسلامية لدعم أقوى للشعب في غزة من كافة النواحي. وذكرت وكالة تسنيم الدولية للأنباء Tasnim News Agency أن خامنئي "أكد على سياسة طهران الثابتة في دعم قوى المقاومة الفلسطينية في مواجهة المحتلين الصهاينة".[89]

الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي Muhammad Khatami رأى أن عملية "طوفان الأقصى" "إنجاز عظيم"، وأنها أهم تطور في الشرق الأوسط بعد الربيع العربي، وأضاف "أن ما حصل إنما تمّ بقوة سواعد الشعب الفلسطيني".[90]

وفي التأكيد على وحدة الخطاب الإيراني من عملية "طوفان الأقصى"، وعلى ربط ما حصل بأنه انتصار لحركات المقاومة عامة، رأى المتحدث باسم الخارجية الإيرانية، ناصر كنعاني Nasser Kanaani، أن هذه العملية "فتحت صفحةً جديدةً في المقاومة والعمليات المسلحة ضدّ المحتلين في الأراضي المحتلة"، مضيفاً "إنها تشكل منعطفاً في عملية استمرار المقاومة المسلحة للشعب الفلسطيني".[91]

الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي Ebrahim Raisi، أجرى من جهته اتصالات بقادة فصائل المقاومة الفلسطينية في حركتَي حماس والجهاد الإسلامي في أعقاب عملية "طوفان الأقصى". وتحدث مع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية، وعبّر عن تقديره لما يقوم به مجاهدو حماس وكل المجاهدين في ساحات القتال، واصفاً ما حصل بـ"الانتصار العظيم".[92] كما أكد رئيسي في مؤتمر طهران الدولي حول فلسطين أن "فلسطين كانت ولا تزال القضية الأولى للدول الإسلامية ولكل أحرار العالم... وأن الحل النهائي يتمثل بطرد الاحتلال من الأراضي الفلسطينية".[93]

من الملاحظ أن تعليقات ومواقف إيران من عملية "طوفان الأقصى"، خصوصاً وزارة الخارجية، مرّت بمراحل، كانت الأولى تأييد العملية ونفي أي دور لإيران فيها، واعتبارها نصراً وزلزالاً كشف الفشل والعجز الإسرائيليين.

في المرحلة الثانية، ومع بداية العدوان على غزة الذي تحول إلى قصف وحشي للمدنيين من نساء وأطفال وإلى تدمير مؤسسات مدنية وطبية ومساجد وكنائس، مع صمت غربي رسمي غير مسبوق، أطلقت إيران التهديدات من أن استمرار العداون سيؤدي إلى توسع دائرة الحرب في المنطقة.

أما في المرحلة الثالثة، فقد بدأت إيران نشاطاً على المستوى الديبلوماسي العربي والإسلامي والدولي لوقف هذا العدوان والإبادة التي ترتكبها القوات الإسرائيلية ضدّ الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. كما كانت إيران حريصة وعلى لسان معظم المسؤولين فيها على التأكيد أن أطراف محور المقاومة تتخذ القرار الذي تراه مناسباً من تلقاء نفسها، وأن إيران ليست هي التي تملي على أي جهة ما عليها أن تقوم به. وهذا ما أكد عليه أيضاً قائد فيلق القدس إسماعيل قآآني Esmail Ghaani: "اليوم المقاومة بأكملها في المنطقة تتخذ قراراتها بشكل مستقل ولا تتلقى الأوامر من أي جهة".[94]

وأكّد وزير الخارجية حسين أمير عبد اللهيان خلال محادثة هاتفية مع نظيره المجري بيتر سيارتو Péter Szijjártó، أن "استمرار هجمات النظام الإسرائيلي على قطاع غزة سيعقّد الوضع، ويزيد من إمكانية اتساع نطاق الحرب".[95] وحذّر عبد اللهيان من "امتداد الأحداث الجارية في غزة إلى مناطق أخرى في المنطقة، إذا لم يوقف رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو حربه المدمّرة ضدّ القطاع"، واقترح عقد اجتماع لقادة المنطقة للبحث في الأوضاع.[96]

وهدَّد وزير الخارجية الإيراني، بفتح جبهات جديدة عبر تيارات المقاومة الأخرى ضدّ "إسرائيل"، إن استمرّ العدوان والحصار على قطاع غزة، حسبما نقلت عنه وكالة الأنباء الإيرانية "إرنا IRNA". وقال عبد اللهيان، فور وصوله إلى لبنان، إن "إيران مستمرة بقوة في دعمها للمقاومة الفلسطينية"، وأكد أنه "في ظل استمرار العدوان وجرائم الحرب والحصار على غزة، فإن فتح جبهات أخرى من قِبَل سائر تيارات المقاومة ضدّ الكيان الصهيوني هو احتمال وارد".[97]

ومن الملاحظ أن تصريحات ومواقف وزير الخارجية الإيراني، وانسجاماً مع ما سبق من مواقف وتصريحات مسؤولين إيرانيين على مختلف المستويات، وخلافاً لأي مواقف عربية أو إسلامية، كانت تربط على الدوام بين "طوفان الأقصى" وبين نهاية الكيان الإسرائيلي.

فما حصل بالنسبة لعبد اللهيان شكّل كارثة حقيقة لـ"إسرائيل" التي "تعيش أسوأ حالاتها وعملية طوفان الأقصى أثبتت ذلك، وما نراه من تهجير قسري في غزة يدل على أن الاحتلال يعيش حالة تخبط وصدمة غير مسبوقة"، وأضاف أن الوجود الأمريكي إلى جانب "إسرائيل" "يثبت أن الكيان الصهيوني على وشك الانهيار الكامل"، وقال إنّ "الكيان الصهيوني ليس بإمكانه الخروج من هذه الحرب منتصراً، .... والعالم يتحمل مسؤولية جرائم الحرب التي يرتكبها الكيان الصهيوني"، وأوضح أن "المقاومة هي التي تحدد الشروط التي تريدها في حال وقف الحرب العدوانية الحالية"، واقترح عقد اجتماع طارئ لمنظمة التعاون الإسلامي لوقف جرائم الاحتلال في قطاع غزة. كما شدَّد، في اتصال مع الأمين العام للأمم المتحدة، على ضرورة

المتابعة القانونية لجرائم "إسرائيل"، وأكد أنه "لا أحد بإمكانه فرض مشروع على الشعب الفلسطيني".[98]

وفي إطار التلويح باتساع نطاق الحرب، إذا لم يتوقف العدوان، قال الوزير عبد اللهيان إن لم تنجح مساعي وقف العدوان على غزة، فإن إيران والمنطقة والفاعلين فيها "لن يبقوا متفرجين"، وأضاف "إذا اتسع نطاق الحرب فإن خسائر فادحة ستلحق بأميركا أيضاً".[99]

وقال عبد اللهيان، في مقابلة مع الإذاعة الوطنية العامة (أن بي آر) National Public Radio (npr) من الأمم المتحدة في 2023/10/27، حيث حضر جلسة للجمعية العامة بشأن الحرب في غزة، إنه التقى قادة فصائل وحركات لبنانية وفلسطينية، وقال "ما توصلت إليه مما سمعته منهم ومن الخطط التي لديهم (...) فإنهم يضعون إصبعهم على الزناد". وأضاف عبد اللهيان "إذا استمر هذا الوضع، واستمر قتل النساء والأطفال والمدنيين في غزة والضفة الغربية، فسيكون كل شيء ممكناً". وشدد عبد اللهيان على أن المقاتلين سيقررون من تلقاء أنفسهم وليس بطلب من إيران.[100]

وعلى صعيد حركته الديبلوماسية، التقى عبد اللهيان المنسق الخاص للأمم المتحدة لشؤون الشرق الأوسط تور وينيسلاند Tor Wennesland، وقال إنه إذا أرادت الأمم المتحدة أن تفعل شيئاً، "فعليها أن توقف فوراً هجمات الكيان الإسرائيلي، وخاصة ضدّ المواطنين والمدنيين".[101] كما أعلن عبد اللهيان في إطار تلك المساعي الديبلوماسية نفسها "أنه أجرى مشاورات وثيقة مع روسيا والصين من أجل وقف إطلاق النار ووقف الحرب في غزة والضفة الغربية".[102]

هكذا كانت مواقف إيران مؤيدة لعملية طوفان الأقصى منذ الإعلان عنها، وقد ربطت بين هذا التأييد وبين حقّ حركة حماس وحركات المقاومة في الدفاع عن نفسها، رداً على جرائم الاحتلال ضدّ الشعب الفسطيني منذ عقود. وقد عمدت إيران إلى التلميح باتساع نطاق الحرب لممارسة الضغوط ووقف العدوان على غزة. كما أنها عمدت إلى حركة ديبلوماسية نشطة على المستويات الدولية والعربية والإسلامية في محاولة منها لوقف العدوان، من دون أن تحقق النتائج المرجوّة.

بموازاة هذا الحراك الديبلوماسي الإيراني، ربطت "إسرائيل" بين الاعتداءات على سورية، وبين التوضيح بأن على إيران ألا تتدخل في الحرب. فقد صرَّح المتحدث باسم الخارجية الإسرائيلية أن الضربات التي وجهتها "إسرائيل" لسورية عند زيارة وزير الخارجية الإيرانية حسين أمير عبد اللهيان لدمشق رسالة تحذير لإيران ولكل "المنظمات الإرهابية" بأن عليهم ألا يتدخلوا في الحرب، مشيراً إلى أن الضربة لم يكن القصد منها أن تصيب الوزير، وإنما تحذير لسورية التي هي ممر لاستقبال صواريخ إيران إلى حزب الله.[103]

من جهة أخرى، قال المتحدث باسم القيادة المركزية الأمريكية United States Central Command لصحيفة النيوزويك Newsweek الأمريكية إن قوات بلاده المتمركزة في جميع أنحاء المنطقة تراقب الفصائل المتحالفة مع إيران، والتي من المحتمل أن تفتح جبهات جديدة بعد عملية طوفان الأقصى.[104]

لكن الرئيس الأمريكي جو بايدن نفى من جهته بشكل قاطع تقريراً إعلامياً إسرائيلياً ذكر أنّ مساعدي الرئيس الأمريكي أوضحوا لـ"إسرائيل" أنه إذا بدأت جماعة حزب الله حرباً، فإنّ الجيش الأمريكي سينضم إلى نظيره الإسرائيلي في قتال الحزب اللبناني. وقال بايدن، للصحفيين، بخصوص التقرير الإسرائيلي "هذا غير صحيح.. لم يُصرح بذلك قط". وأكد المتحدث باسم مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض جون كيربي John Kirby مجدداً أنّ واشنطن تريد احتواء الصراع، وقال للصحفيين "لا توجد نية لنشر قوات أميركية على الأرض في القتال".[105]

التداعيات والتوقعات:

كان لموقف إيران من معركة طوفان الأقصى العديد من التداعيات، كان من أبرزها أن التوتر النسبي عاد إلى العلاقات الإيرانية الغربية، حيث صوّت مجلس النواب الأمريكي في 2023/11/30 لصالح إعادة تجميد الـ 6 مليارات دولار التي كان قد رُفع الحظر عنها في 2023/8/10 ونُقلت إلى المصارف القطرية قبل أن يتم استخدامها من إيران.[106] وفي أعقاب الهجوم الإيراني على الكيان الصهيوني في 2024/4/13، فرضت الولايات المتحدة وعدد من الدول الأوروبية عقوبات جديدة على إيران.[107]

من ناحية ثانية، مواقف إيران المحسوبة المقتصرة على الدعم السياسي والإعلامي في بداية المعركة، جاءت دون توقعات القوى الشعبية الفلسطينية والعربية والإسلامية، في ضوء ما كانت تسمعه من تصريحات ومواقف خلال السنوات الماضية؛ ورأت فيها أوساط شعبية أداءً دون المأمول، في لحظة صعبة تحتاج فيها دعماً وإسناداً يتجاوز التأييد السياسي والإعلامي. غير أن صورة إيران ومكانتها شهدت تحسناً ملحوظاً، بعد الدور المهم الذي لعبه حزب الله على الجبهة الشمالية طيلة شهور المواجهة؛ وبعد تصاعد دور جماعة أنصار الله اليمنية في البحر الأحمر وبحر العرب ضدّ الملاحة الإسرائيلية، وضدّ السفن الذاهبة للموانىء الإسرائيلية؛ وكذلك بعد مشاركة المقاومة العراقية. وأظهر استطلاع لرأي النخبة الأردنية أُجري أواخر شهر آذار/ مارس 2024 أن صورة إيران ومكانتها في العالم العربي زادت إيجاباً بنسبة 42% نتيجة موقفها من العدوان على قطاع غزة، فيما قال 45% من المستطلعين إن معركة طوفان الأقصى أدت إلى تراجع حالة الاستقطاب الطائفي في المنطقة.[108]

وقد تمكنت إيران من تجاوز التحدي الذي واجهها في بداية المعركة في ترجمة شعار وحدة الساحات والجبهات بين أطراف ما يُعرف بمحور المقاومة، حيث شكّلت المشاركة المتطوّرة للقوى المتحالفة معها في المواجهة، خطوة عملية قابلة للتطوّر في ترجمة شعار وحدة الساحات والجبهات.

لقد أدّت معركة طوفان الأقصى والحرب على غزة إلى اهتزاز المكانة الاستراتيجية لـ"إسرائيل" في المنطقة، وضرب صورتها كشرطي للمنطقة وقلعة متقدمة للنفوذ الغربي، وأدّت إلى تعطيل مسار التطبيع، وإلى مزيد من تصاعد القوة والدعم الشعبي العربي والإسلامي والعالمي لحماس وقوى المقاومة؛ وهو ما عزّز الخط السياسي الإيراني، خصوصاً مع حالة الخذلان والضعف الرسمي العربي تجاه المقاومة وتجاه العدوان الصهيوني الوحشي على غزة.

ويُرجَّح أن تواصل إيران خلال الفترة القادمة إدارة مقاربة دقيقة ومتوازنة تجاه القضية الفلسطينية، تعزّز من خلالها دعمها للمقاومة الفلسطينية، وحضورها في المنطقة، وتحافظ على زخم الانفتاح في علاقاتها الإقليمية. كما يُرجّح أن تسعى لتجاوز التوتر الطارئ في علاقاتها مع الولايات المتحدة والدول الغربية.

رابعاً: دول إسلامية أخرى:

ماليزيا:

على الرغم من الأزمات التي شهدتها ماليزيا على المستويات الاقتصادية والسياسية الداخلية، وعلى الرغم من الضغوط الخارجية التي تعرضت لها للسير في ركب التطبيع، إلا أن ذلك كله لم يغير من سياسة الحكومة الماليزية تجاه القضية الفلسطينية، واستمرت في تناغمها مع الشعب الماليزي الداعم للقضية ولِحقِّه في مقاومة الاحتلال الصهيوني. وفي هذا الإطار أكد وزير خارجية ماليزيا سيف الدين عبد الله Saifuddin Abdullah، أن بلاده ستبقى وفيّة لفلسطين ملتزمة بدعمها حتى إنهاء الاحتلال. وشدَّد الوزير الماليزي، في اتصال هاتفي مع وزير خارجية السلطة الفلسطينية رياض المالكي، وقوف بلاده مع فلسطين وتضامنها معها في وجه الجرائم والفظائع، التي ارتكبتها دولة الاحتلال الإسرائيلي، بحق المسجد الأقصى والأماكن المقدسة. وأكد أن بلاده لن تُطبِّع أي علاقات مع دولة الاحتلال، ونوَّه إلى قرارها بمنع دخول لاعبين إسرائيليين إلى ماليزيا.[109]

وعلى اعتبار العلاقات الجيدة التي تجمع بين صُنَّاع السياسة الماليزية والمقاومة الفلسطينية، خصوصاً مع حركة حماس، فلم يكن من المستغرب أن تتم متابعة النشاط الفلسطيني في ماليزيا

من قبل جهاز الاستخبارات الإسرائيلية الموساد، وهو ما كشفته وسائل إعلام ماليزية نقلت عن مسؤولين ماليزيين قولهم إن الموساد جنَّد خلية من 11 ماليزياً على الأقل بهدف تعقّب نشطاء فلسطينيين. وبحسب أولئك المسؤولين فإن خلية الموساد اختطفت خبيراً فلسطينياً في تكنولوجيا المعلومات ينحدر من غزة وسط العاصمة كوالالمبور في 2022/9/28، ونقلته إلى منزل ريفي في ضواحي العاصمة الماليزية، قبل أن تتمكن المخابرات الماليزية من الوصول إلى الخاطفين خلال 24 ساعة واعتقالهم وتحرير الرهينة. وأكدت مصادر ماليزية أن التحقيقات كشفت ضلوع خلية الموساد بالتجسس على مواقع مهمة في البلاد منها المطارات، بالإضافة إلى اختراقها لشركات إلكترونية حكومية، ولم تستبعد هذه المصادر وجود خلايا أخرى للموساد.[110]

ومع استلام رئيس الوزراء الماليزي أنور إبراهيم Anwar Ibrahim رئاسة الوزراء أكد في اتصال هاتفي مع رئيس حركة المقاومة الإسلامية حماس إسماعيل هنية على ثبات موقفه الداعم للقضية الفلسطينية وترحيبه بالتواصل مع حركة حماس.[111]

وانسجاماً مع ما عبَّر عنه رئيس الوزراء الماليزي، قال وزير خارجيته زمبري عبد القادر Zambry Abdul Kadir، إن بلاده تتبنى في سياستها الخارجية العمل على تجريم سياسة الفصل العنصري "أبارتهايد Apartheid" التي ينتهجها الكيان الإسرائيلي، واعتبارها جريمة بحق الإنسانية وأحد أشكال التطهير العرقي، كما شدَّد على أن كل ما تقوم به "إسرائيل" يتناقض مع المبادئ الإنسانية والقانون الدولي. وقال إن الحكومة الحالية تهتم في كل اتصال لها بالمجتمع الدولي بالعمل على إنهاء معاناة الشعب الفلسطيني وحصوله على حقوقه المشروعة في إقامة دولته المستقلة. ويقابل الموقف الرسمي الماليزي بترحيب كبير من الهيئات الشعبية الماليزية المساندة لحقوق الشعب الفلسطيني. وقد التقى الوزير عبد القادر ممثلين ورؤساء هذه المؤسسات في معرض إحياء ماليزيا لذكرى النكبة في أيار/ مايو 2023. وقال رئيس كلية المحاسبة في جامعة ملايا Malaya سابقاً البروفيسور محمد نظري Mohammad Nazari، عن نتيجة اللقاء بأنّ الحكومة تعهدت بالعمل المطلوب لرفض أي شكل من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي قبل حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه، وإدانة الجرائم الإسرائيلية في أي منتدى دولي.[112]

وكان من الطبيعي أن تُواجَه الهجمات الصهيونية على المسجد الأقصى من خلال قيام وزير الأمن الصهيوني إيتمار بن جفير مع مجموعات من المستوطنين الصهاينة باقتحام المسجد الأقصى، فقد دانت ماليزيا "بأشد العبارات" اقتحام بن جفير المسجد الأقصى، وقالت الخارجية الماليزية إن "الاقتحام كان استفزازاً واضحاً وتدنيساً لحرمة المسجد الأقصى". وأضاف البيان أن "ماليزيا لن تتغاضى عن أي محاولة لقوات الاحتلال بهدف تغيير الوضع التاريخي والقانوني للقدس والحرم الشريف، ولن تعترف بأي نتيجة لتلك الأعمال غير القانونية". وحثّت

الخارجية الماليزية المجتمع الدولي على "تحميل النظام الإسرائيلي مسؤولية أعماله العدوانية، من أجل تعزيز السلام والاستقرار" في المنطقة.[113]

وفي الاتجاه نفسه، فقد دعت ماليزيا في بيان مشترك مع سلطنة بروناي إلى مطالبة "القوة المحتلة" بإيقاف "الجرائم الشنيعة" و"سياسات الفصل العنصري" ضدّ الفلسطينيين بهدف إحلال "سلام" شامل ودائم في الشرق الأوسط، وإنهاء الاحتلال في فلسطين. وجاء ذلك عقب لقاء رئيس الوزراء أنور إبراهيم مع سلطان بروناي حسن البلقية Hassanal Bolkiah، في مدينة بوتراجايا الماليزية. وجدَّد القائدان موقفهما أن من حقّ الفلسطينيين قيام دولتهم المستقلة ذات السيادة، على أساس حدود ما قبل حرب سنة 1967 وعاصمتها شرقي القدس.[114]

وفي إطار العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة ومحاولات الولايات المتحدة الأمريكية والعديد من الدول لتجريم وتشويه المقاومة الفلسطينية، على أثر عملية طوفان الأقصى في 2023/10/7، فقد قال رئيس الوزراء الماليزي أنور إبراهيم أمام البرلمان الماليزي، إن بلاده لا تتفق مع الضغط الغربي للتنديد بحركة حماس، مشيراً إلى أن دولاً غربية وأوروبية طلبت مراراً من ماليزيا التنديد بالحركة، وأضاف بقوله "إننا، من الناحية السياسية، لدينا علاقة مع حماس وإن هذه السياسة ستستمر"، وأكد على أنه "بناء على ذلك، نحن لا نتفق مع موقفهم الضاغط، إذ إن حماس أيضاً فازت في غزة بحُرية من خلال الانتخابات واختارها سكان غزة للقيادة".[115]

لم تتوانَ ماليزيا طوال فترة العدوان على قطاع غزة عن استخدام المحافل الدولية في الدفاع عن غزة، وهو ما عبرّت عنه ماليزيا وإندونيسيا وسلطنة بروناي في بيان صدر بشكل منفصل عن رغبة الإدارة الأمريكية في قمة منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادي "آبيك" Asia–Pacific Economic Cooperation (APEC) الذي عقد خلال شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2023 في سان فرنسيسكو، وقد أظهر البيان الاختلاف العميق بين هذه الدول والرئيس الأمريكي حول الوضع في قطاع غزة، ورأت هذه الدول أن ما يجري في قطاع غزة كارثة.[116]

كما دعا وزير الخارجية الماليزي زمبري عبد القادر إلى محاكمة "إسرائيل" بجرائم حرب في محكمة العدل الدولية، وأكد أنه إذا لم يتقدم أحد لمحاكمتهم؛ فإنها ستكون سابقة خطيرة تسمح بإطلاق يد المجرمين في كل مكان. كما انتقد المجتمع الدولي، لعدم تحركه الجاد لفكِّ الحصار عن قطاع غزة.[117]

وأمام الغطرسة الأمريكية عبرّت ماليزيا عن رفضها للقانون للأمريكي المقترح حول فرض عقوبات على الجهات التي تدعم حركتَي حماس والجهاد الإسلامي، وقال رئيس الوزراء

الماليزي أنور إبراهيم إن أي عقوبات على ماليزيا يمكن أن يؤثر على تقييم الحكومة للشركات الأمريكية وكذلك على الفرص الاستثمارية للشركات الأمريكية في ماليزيا.[118]

وفي خطوة متقدمة قامت الحكومة الماليزية في 2023/12/20 بإلغاء قرار حكومي سابق سمح للسفن الإسرائيلية بالرسو في الموانئ الماليزية منذ سنة 2005، ولم يقتصر القرار على السفن الإسرائيلية فحسب، بل منعت الحكومة رسو جميع السفن المتوجهة إلى الكيان الإسرائيلي.[119] وهو ما يُعدُّ خطوة ضاغطة على الكيان، ففي الوقت الذي كانت الإدارة الأمريكية وحلفائها من دول التطبيع تضغط على ماليزيا للانخراط في مشروع التطبيع، أتت معركة طوفان الأقصى لتوقف هذا المسار.

باكستان:

استمرت باكستان خلال سنتي 2022–2023 في دعمها للقضية الفلسطينية، على الرغم من ما رشح من ضغوط مورست على باكستان في سبيل الانخراط في ركب التطبيع. وقد انتقد رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان Imran Khan موقف الدول الإسلامية من القضايا الرئيسية في العالم الإسلامي وفي مقدمتها القضية الفلسطينية وقضية كشمير، وقال "لقد خذلنا الفلسطينيين وشعب كشمير على حدٍّ سواء. ويحزنني أن أقول إننا لم نتمكن من إحداث أي تأثير على الإطلاق". كما أضاف "نحن المسلمون 1.5 مليار نسمة، ومع ذلك فإن صوتنا في وقف هذا الظلم الصارخ لا معنى له".[120]

وفي هذ الإطار، دانت وزارة الخارجية الباكستانية في نيسان/ أبريل 2022، اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي باحات المسجد الأقصى. وأكدت باكستان على دعمها الثابت وغير المقيّد للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية، الذي كان دائماً مبدأً محدداً لسياسة باكستان الخارجية. كما دعت باكستان المجتمع الدولي إلى اتخاذ إجراءات عاجلة لوضع حدٍّ للانتهاكات الإسرائيلية والتي عدَّتها إسلام آباد سبباً لتأجيج العنف والتوتر وعدم الاستقرار في المنطقة.[121]

كنا قد رصدنا في التقرير الاستراتيجي السابق بعض الضغوط التي مورست على باكستان في سبيل التطبيع مع الكيان خلال سنتي 2020–2021، إلا أن الصمود الباكستاني والضغط الشعبي لمنع التطبيع استمر خلال سنتي 2022–2023، وهو ما أكده وزير خارجية باكستان، بيلاوال بوتو زارداري Bilawal Bhutto Zardari، بقوله إن هناك إجماعاً في باكستان على دعم الشعبين الفلسطيني والكشميري، بغضِّ النظر عمن يحكم البلاد، وقال إن بلاده لن تُطبِّع مع "إسرائيل"، وأنّ اهتمامها هو تحقيق الشعب الفلسطيني لحقوقه أولاً. وقال إن جريمة اغتيال الشهيدة شيرين أبو عاقلة، وهي ترتدي زيّ الصحافة، لا مثيل لها في الفظاعة. وتمنّى الوزير

على الأطراف الفلسطينية أن تعمل معاً لتحقيق هدفها المشترك في الحرية، وأضاف، أنّ باكستان لن تتخلى عن دعم الشعب الفلسطيني، ولن تترك فلسطين وحدها في الأيام الصعبة.[122]

وفي السياق نفسه، قال أمير جمعية علماء الإسلام Jamiat Ulema–e–Islam (F) بباكستان فضل الرحمن Fazal ur Rehman مخاطباً حشداً من مؤيدي الجماعة "كان لوبي معين في باكستان يتحدث عن وجوب الاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها، لكن اجتماعكم في ذلك الوقت وفي هذا المكان ورفعكم الصوت ضدّ أيديولوجية تلك اللوبي المعينّ في باكستان، قد أدى إلى إفشال مؤامراتهم وإسكات ألسنتهم بحيث لم يتجرأ أحد بعد في باكستان على التحدث عن الاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها بعد ذلك".[123]

وفي وقت لاحق، قامت الحكومة بخطوة تؤكد على جدية قرار الحكومة بعدم التطبيع أيّ كان شكله، فقد أقالت وزيرة الإعلام الباكستانية مريم أورنكزيب Marriyum Aurangzeb أحد الصحفيين في المحطة الرسمية من عمله بسبب زيارته للكيان الإسرائيلي، وقالت الوزيرة في مؤتمر عقدته في 2022/6/2، إنه لا يمكن أن تتبنى الحكومة أي سياسة تتعارض مع رغبات وتطلعات الشعب الباكستاني، موضحةً أن بلادها ملتزمة بشدة بموقفها التقليدي والمبدئي تجاه القضية الفلسطينية، وأشارت إلى أن الخارجية الباكستانية أيضاً أوضحت عدم قيام أي وفد باكستاني بزيارة "إسرائيل".[124]

ومع ازدياد التوترات التي شهدتها مناطق الضفة الغربية والقدس بداية سنة 2023 وخصوصاً الانتهاكات الإسرائيلية المتكررة للمسجد الأقصى، أعرب ممثل باكستان منير أكرم Munir Akram في جلسة لمجلس الأمن عن قلق بلاده إزاء تردي الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما في ذلك شرقي القدس، وأشار إلى أن سنة 2022 كانت من السنوات الأكثر دموية للشعب الفلسطيني، وعبرَّ عن تحفّظ بلاده على تصرفات "إسرائيل" العدوانية المستمرة وتحريضها واستفزازها في الأماكن المقدس، وعن إدانة بلاده لاقتحام وزير الأمن القومي الإسرائيلي المسجد الأقصى الذي يقدسه المسلمون في جميع أرجاء العالم، وأن انتهاك حرمته يجرح مشاعر المسلمين ويؤجج الوضع في المنطقة. وأكد رفض بلاده لمحاولات "إسرائيل" لتغيير الوضع القائم في الأماكن المقدسة، وطالب مجلس الأمن بالتصرف لحسم ضمان امتثال "إسرائيل" للقانون الدولي وتنفيذ كل القرارات الصادرة بموجبه، وأشار إلى أن شعور "إسرائيل" بالإفلات من العقاب جعلها تمعن في ممارسة تدابير عقابية على الشعب الفلسطيني.[125]

أما وزير الخارجية الباكستاني بيلاوال بوتو زارداري، فقد قال في وقت لاحق "لا يوجد أي إمكانية للاعتراف بإسرائيل قبل أن يكون هناك اعتراف وقبول وقرار من الجانب الفلسطيني"،

وأكد الوزير على أن "هناك أسباب ثقافية وتاريخية، تتعلق بالشعب الباكستاني، نحن فخورون بأننا منذ وقت طويل قررنا ألا نعترف بدول فصل عنصري". وأضاف بوتو: "كنا نكتب في جواز السفر الباكستاني مسموح بالسفر إلى كل البلدان ما عدا جنوب إفريقيا وإسرائيل، أما اليوم فنكتب مسموح بالسفر إلى كل البلدان ما عدا إسرائيل. هذا هو موقف باكستان".[126]

وعلى أثر الاعتداءات الدموية المتكررة على مخيم جنين خلال سنة 2023، طالبت وزارة الخارجية الباكستانية في بيان لها "المجتمع الدولي بتحمل مسؤوليته في وقف هذه الأعمال غير القانونية التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلي، والتحرك لضمان حماية حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني".[127]

وتوالت التصريحات الباكستانية المنددة بالعدوان الصهيوني على قطاع غزة في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، وعدَّت الخارجية الباكستانية مهاجمةَ المستشفى الأهلي المعمداني أمراً غير إنساني، ولا يمكن تبريره، وأنه انتهاك خطير للقانون الدولي ويشكل جريمة حرب.[128]

وفي السياق نفسه، قال سفير باكستان في الأمم المتحدة منير أكرم أن الدول الإسلامية يمكنها استخدام نفوذها الاقتصادي والدبلوماسي وغيرها للضغط على الكيان الإسرائيلي ودعم غزة، وشدّد على أهمية إيجاد أرضية مشتركة بين الدول الإسلامية للتوصل إلى استراتيجية موحدة لممارسة هذا الضغط.[129]

إندونيسيا:

استمرت محاولات الكيان الصهيوني خلال سنتي 2022-2023، اختراق الدول الإسلامية ودفعها للتطبيع؛ فبالرغم من وجود معارضة شعبية قوية في إندونيسيا، إلا أن ذلك لم يمنع من نجاح إحدى المحاولات الصهيونية. ففي كانون الثاني/ يناير 2022، قامت مؤسسة صهيونية تدعى "ياد فاشيم"، بافتتاح أول معرض دائم عن الإبادة الجماعية لليهود على أيدي النازيين خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك في إحدى الجزر الإندونيسية، وقالت المؤسسة "سنكون سعداء بافتتاح معرض أينما كان هناك اهتمام بذكرى المحرقة وإحياء ذكراها، وخاصة في أكبر دولة إسلامية في العالم".[130]

وفي وقت لاحق، أكد الرئيس الإندونيسي جوكو ويدودو Joko Widodo، في كلمة له في أثناء انعقاد المؤتمر الصحفي الذي جمعه مع رئيس الوزراء الفلسطيني محمد اشتية في العاصمة الإندونيسية جاكرتا، على أن فلسطين وإندونيسيا تجمعهما صداقة حميمية وتاريخ طويل من التضامن والدعم، وأكد على ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية، وأبدى الجاهزية لتقديم كافة أشكال الدعم لإنجاز جهود المصالحة الوطنية الفلسطينية على أكمل وجه.[131]

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

وعندما عقد مجلس الأمن الدولي في كانون الثاني/ يناير 2023، نقاشاً مفتوحاً حول الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، قالت ممثلة إندونيسيا، إن الوضع يزداد سوءاً، ولا بدّ من إنهاء ما يحدث، كما طالبت "إسرائيل" بالتوقف عن انتهاكاتها، والحفاظ على الوضع القانوني والتاريخي للأماكن المقدسة، وقالت "مسؤوليتنا إنهاء الاحتلال بشكل قطعي، ونحن سنقدم دعمنا إلى الشعب الفلسطيني".[132]

وفي موقف لافت، قام الاتحاد الدولي لكرة القدم "الفيفا" International Federation of Association Football "FIFA" بسحب حقّ إندونيسيا باستضافة نهائيات بطولة كأس العالم للشباب في كرة القدم لتحت سنّ العشرين، والتي كانت من المقرر أن تقام خلال الفترة 5/20–2023/6/11. وأتى هذا القرار على خلفية رفض إندونيسيا مشاركة "إسرائيل" في البطولة، فقد رفض حاكم جزيرة بالي الإندونيسية استقبال الفريق الإسرائيلي في البطولة.[133]

وعلى الرغم من الموقف الشعبي الرافض للتطبيع مع الكيان الصهيوني، إلا أن الأخبار حول محاولة تطبيع العلاقات بين الكيان الإسرائيلي وبين إندونيسيا لم تتوقف، فقد كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت في أيلول/ سبتمبر 2023، عن وجود محادثات سرية بين "إسرائيل" ومسؤولين إندونيسيين، وزعمت الصحيفة، أن "إسرائيل" لديها قنوات اتصال مباشرة مع عدد من الأطراف في إندونيسيا المهتمة بدفء العلاقات، وأشارت إلى أنه يوجد بين "إسرائيل" وإندونيسيا علاقات تعاون تجارية وسياحية وأمنية. ووفق الصحيفة، فإن الأمريكيين يعملون خلف الكواليس لإقناع الإندونيسيين بتطبيع العلاقات مع الإسرائيليين. ونسبت الصحيفة تعليقات لمسؤولين إسرائيليين حول استعداد إندونيسيا للتطبيع، وبأن إندونيسيا تنظر إلى تطبيع السعودية أولاً مع "إسرائيل" حتى تقوم بمجاراتها.[134]

غير أن عملية طوفان الأقصى، وما تبعه من عدوان صهيوني، قد شكّل كابحاً أمام أي اندفاع من الدولة الإسلامية للتطبيع مع الكيان الصهيوني. فقد دان الرئيس الإندونيسي العدوان الصهيوني على غزة وقال "إن إندونيسيا تُدين الهجمات على غزة التي أدّت إلى معاناة الناس وسقوط عدد متزايد من الضحايا المدنيين، بما في ذلك النساء والأطفال". وأضاف الرئيس أن إندونيسيا تُدين أيضاً الهجوم الإسرائيلي على المستشفى الأهلي المعمداني والذي ينتهك القانون الإنساني الدولي. كما أكد على أن إندونيسيا لن تبقى صامتة بينما يتواصل تزايد الخسائر في صفوف المدنيين، وتشاهد الظلم المستمر ضدّ الشعب الفلسطيني. كما دعا الرئيس جوكو قادة العالم إلى بناء تضامن عالمي لحل القضية الفلسطينية بشكل عادل من خلال مراعاة المعايير الدولية المتفق عليها، وأضاف: "سنواصل التعبير عن هذه القضية في مختلف المناسبات والمنتديات الدولية".[135]

ومن الواضح بأن الموقف الشعبي الإندونيسي الداعم بقوة لفلسطين قد شكّل نقطة ارتكاز لتحديد السياسات الخارجية الإندونيسية، فقد رأى بعض المراقبين بأن موقف صُنَّاع السياسات في إندونيسيا من القضية الفلسطينية هو أحد المحددات الأساسية في تحديد مستقبل هؤلاء السياسيين، وقد قارن البعض هذا الدعم الإندونيسي للقضية الفلسطينية وتأثيرها على اللعبة السياسية الداخلية بما يجري في الولايات المتحدة الأمريكية من تأثير اللوبي الصهيوني في الانتخابات الرئاسة الأمريكية. وفي إطار الحرص الأمريكي على بناء شراكة أمريكية إندونيسية شكلت الدعوة الإندونيسية لوقف العدوان الإسرائيلي على القطاع ركيزة أساسية في الحوار المشترك بين الطرفين في تشرين الثاني/ نوفمبر 2023. وقد كان واضحاً أن طرفَي الحوار كانا مقيّدان باعتبارات المواقف المتناقضة الداعمة لطرفَي الحرب في فلسطين المحتلة وبتأثيرها على مستقبل الجهات الحاكمة في البلدين.[136]

خامساً: التفاعلات الإسلامية الشعبية مع القضية الفلسطينية

استمر التفاعل الشعبي الإسلامي في دعمه للقضية الفلسطينية طوال سنتي 2022–2023، ففي يوم القدس العالمي في نيسان/ أبريل 2022 خرجت مسيرات في دول إسلامية مختلفة لإحياء هذه المناسبة، حيث شهدت المدن الإيرانية مسيرات حاشدة، وشدّد المشاركون على نصرة القدس والشعب الفلسطيني في نضاله ضدّ الاحتلال الإسرائيلي. وعدّ البيان الختامي للمسيرات أن يوم القدس هو رمز وحدة وتلاحم الأمة الإسلامية، مقابل مؤامرات نظام الهيمنة والاستكبار. وفي مدينة إسطنبول التركية، تجمّع الناشطون ورفعوا اللافتات الداعمة لفلسطين والمنددة بإجراءات الاحتلال في المدينة المقدسة والمسجد الأقصى المبارك. وفي العاصمة الماليزية كوالالمبور، نظمت أحزاب ومنظمات أهلية مظاهرة أمام مبنى السفارة الأمريكية لإحياء يوم القدس ودعم القضية الفلسطينية. وطالب المتظاهرون الولايات المتحدة بوقف دعمها للاحتلال وإلغاء اعترافها بالقدس عاصمة لـ"إسرائيل"، كما نددوا بالاعتداءات المتواصلة على المصلين في المسجد الأقصى، وسلّم قادة الأحزاب والمنظمات الأهلية المشاركة في المظاهرة السفارة الأمريكية مذكرة احتجاج طالبوا فيها واشنطن بالتوقف عن دعم الكيان الإسرائيلي.[137]

وفي سياق الدعم الشعبي للمقاومة الفلسطينية، أكد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين على دعمه للمقاومة الفلسطينية عموماً، كما شدّد أيضاً رئيس الاتحاد أحمد الريسوني على ثقته الراسخة في قيادة حركة حماس وصمودها، واتخاذ ما تراه من خطوات وقرارات، وتدبير رشيد في تعزيز جهادها ومقاومتها للاحتلال ومتطلبات المعركة ضدّ العدو وحلفائه.[138]

والمتتبع لمسارات الأحداث وتصاعد الاعتداءات الصهيونية على المسجد الأقصى في بداية سنة 2023، يرى أن الأمور كانت تسير نحو مزيد من التصعيد، وهو ما دفع الشعب الباكستاني للخروج في المظاهرات التي دعا إليها زعيم حزب الجماعة الإسلامية سراج الحق Siraj ul Haq، ورفعوا شعارات ورددوا هتافات منددة بالاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى.[139]

وبناء على ما سبق من تطورات واعتداءات إسرائيلية على المقدسات في مدينة القدس، واستهدافها للمدن والقرى والمخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية، أتت معركة طوفان الأقصى لتشكل نقطة تحوّل في العلاقة بين الشعوب الإسلامية والقضية الفلسطينية ومقاومتها. لعل من أطلق على العملية العسكرية التي قامت بها المقاومة الفلسطينية في 2023/10/7 باسم طوفان الأقصى، كان مدركاً بأن هذا الطوفان سيعم كافة قارات العالم؛ فقد كشف الكيان الصهيوني الذي تغوّل في استهدافه للمدنيين وخصوصاً للأطفال والنساء الذين سقطوا بالآلاف بنيران الجيش الصهيوني، عن مدى دمويّته، كما كشفت هذه الحرب عن عجز الأنظمة الإسلامية. ولعلّ إدراك الشعوب الإسلامية لعجز النظام الرسمي الإسلامي هو ما دفعها إلى الخروج بمئات المظاهرات، وعمل آلاف الفعاليات لنصرة الشعب الفلسطيني. وعلى سبيل المثال، شهدت العاصمة الإندونيسية جاكرتا مظاهرات حاشدة تنديداً بالحرب الإسرائيلية على غزة وللمطالبة بوقف إطلاق النار، شارك فيها وزراء في الحكومة وقادة أحزاب وبرلمانيون وقادة منظمات إسلامية إندونيسية. وقدّر المنظمون عدد المشاركين في المظاهرة بنحو مليون ونصف مليون شخص، ورفع خلالها المشاركون شعارات تطالب بفكِّ الحصار عن غزة وإدخال المساعدات الإنسانية ووقف الحرب.[140]

أما في ماليزيا، فقد تناغم المسار بين الحكومة الماليزية والشعب الماليزي الذي خرج بعشرات الآلاف منذ بداية الحرب بمسيرات عدة، وفي بعضها شارك رئيس الوزراء أنور إبراهيم تنديداً بالاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة، وطالبت بوقف فوري للحرب الإسرائيلية على غزة، ودعت إلى تصعيد الاحتجاجات ضدّ الحكومات الداعمة لـ"إسرائيل".[141]

وفي باكستان، نظمت جمعية علماء الإسلام مهرجاناً حاشداً في مدينة لاركانا في إقليم السند جنوبي باكستان بعنوان "طوفان الأقصى" دعماً لقطاع غزة، ورفضاً للعدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني. وشارك في المهرجان ممثل عن حركة المقاومة الإسلامية حماس، وزعيم جمعية علماء الإسلام فضل الرحمن، بالإضافة إلى قيادات وشخصيات من جماعات إسلامية أخرى. وخلال المهرجان، أكّد فضل الرحمن على دعم كما سماهم بالأشقاء الفلسطينيين والوقوف جنباً إلى جنب وخطوة بخطوة، كما ندّد أيضاً بالفظائع الإسرائيلية التي تُرتكب ضدّ الشعب الفلسطيني في غزة. ولم يكن هذا المهرجان هو الوحيد الذي عقد في باكستان، فقد نظمت

هذه الجماعة وغيرها من الأحزاب السياسية الباكستانية مهرجانات شبه أسبوعية في مختلف أقاليم باكستان طوال فترة الحرب على قطاع غزة.[142]

وفي الهند، اعتقلت الشرطة الهندية عشرات المتظاهرين المؤيدين لفلسطين في مظاهرة رافضة للجرائم الإسرائيلية في قطاع غزة، نظمها طلاب في مدينة نيودلهي في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، حاملين شعارات تدعم حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال وتندد بالحرب على قطاع غزة وقتل المدنيين.[143] كما نظَّمت الأحزاب السياسية والناشطون والجماعات الإسلامية في ولاية كيرالا جنوب الهند مسيرات وفعاليات تطالب "إسرائيل" بوقف إطلاق النار الفوري، ضمت إحداها مئات الآلاف من الهنود، وعُدّت من أكبر المظاهرات المساندة للشعب الفلسطيني في الهند على الإطلاق.[144] وخرج المتظاهرون في 2024/4/5 إلى شوارع سريناغار في الجزء الخاضع للإدارة الهندية من كشمير للاحتجاج على الحرب الإسرائيلية على غزة، وأعربوا عن تضامنهم مع الفلسطينيين وسكان غزة.[145]

وتفاعلاً مع الحراك الطلابي الذي انطلق من الجامعات الأمريكية دعماً للقضية الفلسطينية وتنديداً بالحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، نظَّم الطلاب في بنغلاديش في أيار/ مايو 2024 مظاهرة ردّد فيها المتظاهرون هتافات منددة بالهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة، واتجهوا نحو السفارة الأمريكية في العاصمة تحت تدابير أمنية مشددة. كما اتهم المحتجون الرئيس الأمريكي جو بايدن ووزير خارجيته أنتوني بلينكن بأنهما مسؤولان عن "الإبادة الجماعية" في غزة.[146]

لم تقتصر المظاهرات الداعمة للشعب الفلسطيني في معركة طوفان الأقصى على الدول الإسلامية القريبة عادة من القضية الفلسطينية، ففي العاصمة القرغيزية بيشكك خرجت مظاهرة داعمة لقطاع غزة ومنددة بالهجمات الإسرائيلية على القطاع. وفي كوسوفو، نظمت رابطة "الفكر والعمل النسوي Collective for Feminist Thought and Action" غير الحكومية في بريشتينا، عاصمة كوسوفو، مسيرة تضامنية مع الشعب الفلسطيني.[147] كما خرجت مظاهرات داعمة لفلسطين وغزة في العاصمة البوسنية سراييفو وفي بلجراد وعاصمة الجبل الأسود بودجوريتشا، وطالبوا بوقف الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة.[148]

وفي العديد من الدول الإفريقية خرجت الجماهير في يوم القدس العالمي للتنديد بالحرب الإسرائيلية على قطاع غزة. وقد نظمت الحركة الإسلامية في نيجيريا مظاهرات كبيرة في العديد من مدن البلاد ردد فيها المتظاهرون هتافات ضدّ كلّ من الكيان الإسرائيلي والولايات المتحدة الأمريكية. وفي السنغال خرجت مظاهرات في العاصمة داكار حيث أعلنت عن دعمها للشعب الفلسطيني في قطاع غزة وطالب المتظاهرون الحكومة السنغالية بقطع العلاقات مع دولة الاحتلال الإسرائيلي.

وفي كينيا، تعرض نشطاء نظموا احتجاجاً تضامنياً مع الفلسطينيين في 2024/1/25 للضرب وللغاز المسيل للدموع على يد الشرطة في نيروبي.[149] وجابت مدينة نيامي عاصمة النيجر المظاهرات التي دانت جرائم الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة، وطالبت المجتمع الدولي بمحاسبة الكيان الصهيوني، ورفع المتظاهرون الأعلام الفلسطينية وأحرقوا الأعلام الفرنسية والأمريكية والإسرائيلية.[150]

سادساً: التطبيع والعلاقات الإسرائيلية مع الدول الإسلامية

لم تتوقف المحاولات الإسرائيلية لتطبيع علاقتها مع الدول الإسلامية، ولم تقتصر محاولات التطبيع على المستويات السياسية، بل تعدَّى ذلك إلى مستويات تُعدُّ خطيرة على الأمن الإقليمي. فقد عقد الكيان الإسرائيلي اتفاقات تعاون في مجال السايبر مع ألبانيا، ومن المفارقة أن هذا الاتفاق أتى بمبادرة إسرائيلية بعد هجوم سايبراني ضخمٍ شلّ العديد من الخدمات الرقمية والمواقع الإلكترونية الحكومية الألبانية بشكل مؤقت، وأشارت الجهات الألبانية إلى أن هذا الهجوم الإلكتروني لا يمكن أن يكون قد نفذ بأيدي أفراد أو مجموعات مستقلة، واصفاً إياه بأنه عدوان دولة، وقد وجهت الاتهامات إلى إيران التي نفت بشكل قاطع علاقتها بهذا الهجوم. وعرضت "إسرائيل" على ألبانيا مساعدتها في بناء منظومة دفاع سايبراني، بالإضافة إلى رغبتها بتوسيع تعاونها مع ألبانيا في المجالات التجارية والسياحية.[151]

تمكّن الكيان الإسرائيلي خلال سنتي 2022–2023 من تحقيق اختراقات في عدد من الدول الإسلامية، ومنها أذربيجان المحاذية لإيران، فعلى الرغم من تواتر المعلومات حول المستوى العالي من التعاون الإسرائيلي الأذربيجاني، إلا أن ذلك لم يصل إلى مستوى تبادل التمثيل الديبلوماسي وفتح سفارة أذربيجانية في دولة الكيان الإسرائيلي، إلا في أواخر سنة 2022، حيث اتخذ البرلمان الأذري في 2022/11/18، قراراً بفتح سفارة في تل أبيب، وقد علَّق رئيس الوزراء الإسرائيلي يائير لابيد على هذا القرار قائلاً "أرحب بقرار البرلمان الأذربيجاني بفتح سفارة في إسرائيل. أذربيجان شريك مهم لإسرائيل وموطن لإحدى أكبر الجاليات اليهودية في العالم الإسلامي".[152]

وقد سبق القرار الأذري قيام وزير الدفاع الإسرائيلي بني جانتس بزيارة إلى أذربيجان، أجرى خلالها لقاءات مع كبار قادة الدولة، ووقَّع على عدة اتفاقيات تعاون في المجالَيْن العسكري والأمني، وذلك بعد أكثر من 6 أشهر من إبرام البلدين اتفاقية لتوسيع العلاقات الاقتصادية.[153]

وعلى ما يبدو، فإن العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية أخذت في التطور، ففي أيار/ مايو 2023 قام الرئيس الإسرائيلي إسحق هيرتزوج بزيارة إلى أذربيجان بدعوة من الرئيس الأذربيجاني إلهام علييف Ilham Aliyev، وقال علييف حول ما جرى في اجتماعه مع هيرتزوج "تحدثنا عن مواضيع مشتركة؛ فتح سفارتنا في إسرائيل، رفع حجم العلاقات بيننا وخلق فرصاً إضافية للتفاعل الوثيق". وأضاف علييف أن أذربيجان توفر الطاقة والنفط إلى "إسرائيل"، وأنها ستواصل التعاون في هذا المجال. كما أكد قائلاً "مؤخراً بدأنا بالتعاون بمجال أمن السايبر، هذا الموضوع مهمٌ اليوم جداً، وسنستعين بشركات إسرائيلية متفوقة في هذا المجال، لتحقيق أهدافنا في الدفاع عن أنفسنا".[154]

كما أكدت تحقيقات صحفية في بداية سنة 2023 بأن 92 طائرة شحن تابعة لشركة "سيلكواي Silkway" الأذربيجانية قد هبطت في قاعدة "عوفدا Ovda" التابعة لسلاح الجو الإسرائيلي قرب مدينة إيلات، وهو المطار الوحيد في "إسرائيل" الذي يُسمح بنقل مواد متفجرة منه وإليه. وحسب التحقيق الصحفي أكد على وجود حلف استراتيجي بين "إسرائيل" وأذربيجان، وفي إطاره تبيع "إسرائيل" لأذربيجان الأسلحة، وفي المقابل تزودها أذربيجان بالنفط وبممر للوصول إلى إيران التي لديها حدود طويلة مع أذربيجان.[155]

وفي وقت سابق، كشفت مصادر إسرائيلية في شباط/ فبراير 2022، عن اجتماع عقد بين سفير "إسرائيل" في واشنطن ميخائيل هيرتزوج Michael Herzog مع السفير التركيّ وسفراء دول أذربيجان وكازاخستان وأوزبكستان. وقالت إن اللقاء عقد بغية إيجاد آلية للتعاون بين "إسرائيل" وهذه الدول في المجالين الثنائي والإقليمي، وإنشاء إطار مشترك للتنسيق فيما بينهم على مختلف الصعد.[156]

وفي الإطار نفسه، كشفت وزارة الخارجية الإسرائيلية عن استقبالها لوفدَيْن كبيرَيْن من كازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان وتركمانستان، ورأت الخارجية الإسرائيلية في هذه الزيارات "تعبيراً عن ارتفاع نشاطها الدبلوماسي مع الدول المحيطة بإيران"، وقالت إن المشاركين في هذه الوفود وكجزء من برنامج الزيارة، عقدوا عدة اجتماعات في مقر وزارة الخارجية في غربي القدس، واستمعوا إلى تقارير حول القضايا الأمنية وتهديدات إيران، كما زاروا القيادة الجنوبية للجيش الإسرائيلي، وهي القيادة العسكرية المشرفة على قطاع غزة، حيث استمعوا لشرح حول "التهديدات التي تتعرض لها إسرائيل والتحديات الأمنية التي تواجهها في هذه المنطقة".[157]

ووفقاً لتقرير استقصائي استُند فيه إلى وثائق رسمية لحكومة بنغلاديش وسجلات صادرات دولية، كشفت من خلالها أن بنغلاديش، بالرغم من أنها لا تعترف بـ"إسرائيل" ولا تقيم علاقات

ديبلوماسية معها، اشترت برامج تجسس إسرائيلية خصيصاً للمركز الوطني لرصد الاتصالات (أن تي أم سي) National Telecommunication Monitoring Centre (NTMC)، وهو وحدة تابعة لوزارة الداخلية البنغلادشية، المسؤولة عن رصد مضامين الإنترنت والشبكات الاجتماعية في الدولة، لفرض الرقابة العسكرية على الإنترنت والتنصت على المواطنين. وإحدى شركات السايبر التي زودت بنغلاديش ببرامج المراقبة هي شركة "باسيتورا Passitora"، التي أسسها القائد السابق للوحدة التكنولوجية في شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، طال ديليان Tal Dilian.[158]

كما أن التسريبات الصحفية الإسرائيلية كشفت أيضاً عن استخدام المباحث الفيدرالية الباكستانية معدات لاختراق أجهزة الهاتف النقالة، والتي طورتها شركة "سيلبرايت Silbright" الإسرائيلية، ومن اللافت للنظر ما أكدته هذه التسريبات بأن المباحث الفيدرالية ووحدات أخرى في الشرطة الباكستانية تستخدم برمجيات "سيلبرايت"، منذ سنة 2012 على الأقل، علماً أن باكستان لا تقيم علاقات مع "إسرائيل".[159]

من جهة أخرى، قال رئيس تشاد محمد ديبي Mahamat Déby خلال زيارة لافتتاح السفارة التشادية في تل أبيب "هذه دولة لها تاريخ كبير، وهذه أرض الحضارة لجميع الأديان السماوية"، وأضاف "تمر تشاد وإسرائيل اليوم بمنعطف حاسم في علاقتهما". وقال نتنياهو لديبي إن "إسرائيل" ترى في ارتباطها بتشاد بأنها "علاقات مهمة جداً مع دولة كبرى في قلب إفريقيا. إنه شيء نريد أن نرتقي به إلى مستويات جديدة وآفاق جديدة". كما أشار إلى دور رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد في هندسة هذه العلاقة.[160]

من الواضح بأن سنة 2023 كانت حافلة بمحاولات التمدد التطبيعي مع الدول الإسلامية، حيث كشفت وزارة الخارجية الإسرائيلية، أنهم أجروا اتصالات مع أربع دول عربية وإسلامية، هي موريتانيا والصومال والنيجر وإندونيسيا، بهدف تطبيع علاقات معها وضمّها إلى "اتفاقيات أبراهام".[161]

وفي وقت لاحق، أعلنت وزيرة المواصلات الإسرائيلية ميري ريجيف أن شركة الطيران الوطنية النيجيرية (أير بيس AIR PEACE) بدأت لأول مرة بتسيير رحلات مباشرة إلى "إسرائيل" ابتداء من 2023/4/20. الاتفاق الموقّع بين البلدين سيتيح لأول مرة لشركات الطيران من كِلا البلدين بتسيير رحلات منتظمة من مطار بن جوريون إلى عدد من الوجهات في نيجيريا مثل العاصمة أبوجا، ولاغوس.[162]

غير أن كل الأنشطة الإسرائيلية في مجال التطبيع تلقت ضربة كبرى إثر معركة طوفان الأقصى، التي كشفت الوجه الإسرائيلي البشع، ورفعت درجة الضغوط الشعبية لوقف التطبيع.

ويظهر الجدول التالي حجم التجارة الإسرائيلية مع عدد من البلدان الإسلامية غير العربية:

جدول 7/1: حجم التجارة الإسرائيلية مع عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية) 2021-2023 (بالمليون دولار)[163]

البلدان	الصادرات الإسرائيلية إلى:			الواردات الإسرائيلية من:		
	2023	2022	2021	2023	2022	2021
تركيا	1,565.2	2,338.9	1,919.1	4,607.6	5,700.3	4,764.3
أذربيجان	179.2	159.1	119.7	3.8	3.2	1.8
إندونيسيا	37.1	38	26.1	59.2	77.1	70.7
نيجيريا	21.3	30.2	89.5	5.9	4.6	4.9
كازاخستان	72.1	58.5	32.7	5.2	20.1	1
ماليزيا	25.3	74.6	9	10.4	10.7	10
تركمانستان	0.1	6.1	15.7	0	0	0.2
أوزبكستان	29	25.3	12.8	6	10.5	3
السنغال	21.5	16.4	9.3	5.9	6.3	3.9
ساحل العاج	33.4	32.3	10.3	0.1	0.3	0.3
الكاميرون	5.2	2.8	6.6	0	0	0
الغابون	2.5	1.6	3.2	0.4	3.4	0.5

الصادرات الإسرائيلية إلى عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية) 2022-2023 (بالمليون دولار)

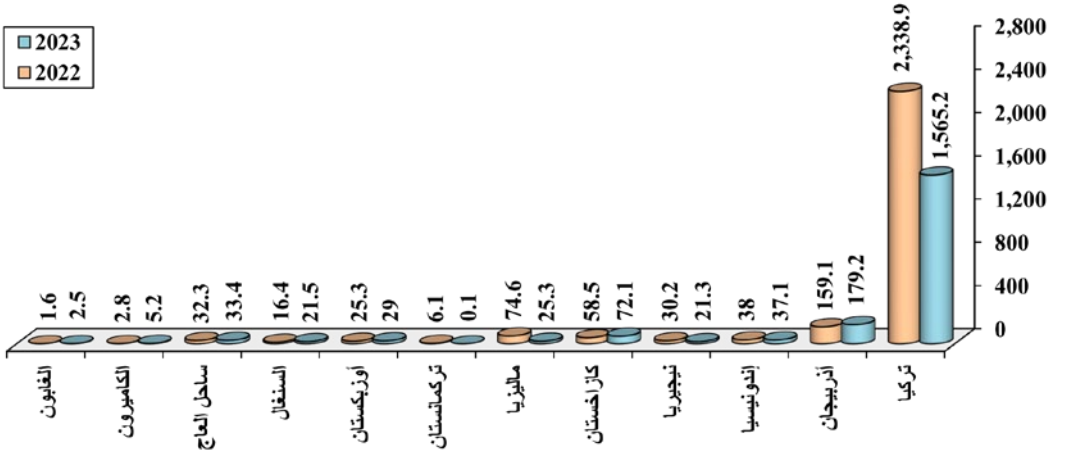

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الواردات الإسرائيلية من عدد من البلدان الإسلامية (غير العربية)
2022–2023 (بالمليون دولار)

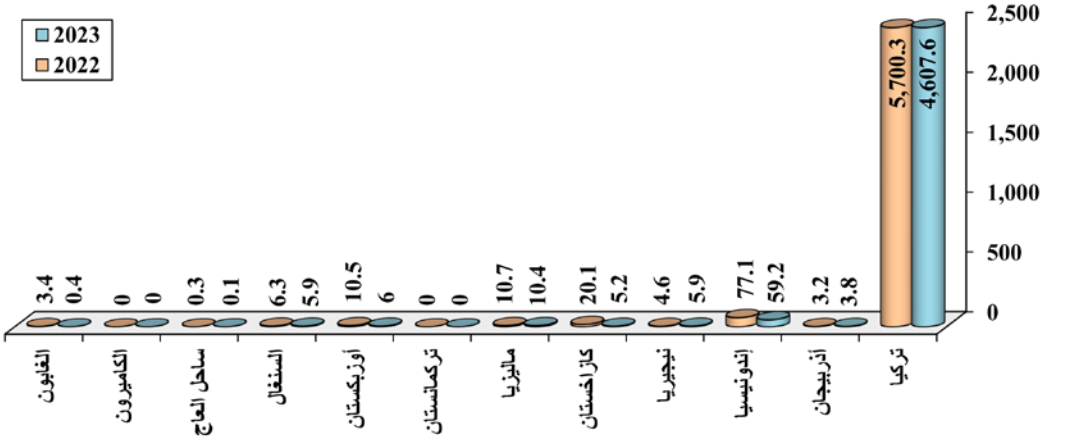

خلاصة

استمر سلوك العالم الإسلامي على نسقه المعتاد تجاه قضية فلسطين معظم الفترة التي يغطيها التقرير 2022–2023؛ واستمرت منظمة التعاون الإسلامي في "سباتها" وفي سلوكها المغرق في التقليدية والشكلية.

أما بالنسبة للنموذج التركي الذي درسه التقرير فقد شهد سلوكاً أكثر تحفظاً وأقل تفاعلاً تجاه الأحداث والتطورات، في ضوء انشغال الحكومة بالملفات الداخلية السياسية والاقتصادية، وفي ضوء رغبتها في تحسين علاقاتها مع "إسرائيل" وبلدان "الاعتدال" العربي. وقد شكّلت عملية طوفان الأقصى والحرب الإسرائيلية على غزة صدمة لسياساتها التي قطعت فيها شوطاً كبيراً. ومع تصاعد التفاعل الشعبي التركي الجارف المؤيد للمقاومة والمعادي لـ"إسرائيل" أخذت الحكومة بالتغيير التدريجي في مواقفها لتصبح أكثر وضوحاً وتشدداً في الإطار السياسي، ثم لتقوم بعد ذلك بعدد من الإجراءات العقابية الاقتصادية. غير أن الموقف التركي ظلّ موقفاً "محسوباً" ودون المأمول والمتوقع في ضوء تجربة حزب العدالة والتنمية وأردوغان على مدى العشرين عاماً الماضية. ولعل الحزب صار أكثر انسجاماً مع نفسه وتاريخه، بعد خسارته في الانتخابات البلدية في آذار/ مارس 2024، حيث عاقبته الكثير من الجماهير على انخفاض سقفه من المقاومة ومن الحرب على غزة.

أما النموذج الثاني الذي درسه التقرير، النموذج الإيراني، فقد ظلّ منسجماً مع نفسه، واستمر على ثوابته في رفض الاعتراف بالكيان الإسرائيلي ورفض التطبيع، وفي دعم المقاومة الفلسطينية. ولذلك جاءت معركة طوفان الأقصى متوافقة مع توجهاته، فقدّم لها دعمه السياسي والإعلامي والمالي والعسكري؛ مع تأكيده أن المعركة هي قرار حمساوي فلسطيني

بحتٌ. كما شجعت إيران حلفاءها في المنطقة لإسناد المقاومة حيث قام حزب الله في لبنان وأنصار الله (الحوثيون) في اليمن بأدوار مشهودة، بالإضافة إلى إسهام المقاومة في العراق.

التفاعل الرسمي في عدد من البلدان الإسلامية كان إيجابياً كما في ماليزيا وإندونيسيا وباكستان والسنغال... وغيرها. كما كان التفاعل الشعبي الإسلامي كبيراً في معظم البلدان الإسلامية، وقام المسلمون بأنشطة كبيرة ومظاهرات ضخمة في الهند وسيريلانكا...، كما نشطت الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا وأستراليا دعماً لفلسطين.

وفي هذه الأجواء تراجعت موجات التطبيع، وتزايدت مظاهر مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية.

ولعل طوفان الأقصى يُشكّل علامة تاريخية فارقة في التفاف العالم الإسلامي حول قضية فلسطين ومشروع تحريرها.

هوامش

[1] منظمة التعاون الإسلامي تدين محاولات التهجير القسري للفلسطينيين في مدينة القدس المحتلة، موقع منظمة التعاون الإسلامي، 2022/1/18، في: https://www.oic-oci.org/topic/?t_id=30726&ref=19606&lan=ar

[2] وكالة وفا، 2022/2/3.

[3] منظمة التعاون الإسلامي ترحب بقرار القمة الإفريقية تعليق منح إسرائيل صفة عضو مراقب في الاتحاد الإفريقي، منظمة التعاون الإسلامي، 2022/2/6، في: https://www.oic-oci.org/topic/?t_id=30819&ref=19640&lan=ar

[4] وكالة وفا، 2022/3/24.

[5] **الشرق الأوسط**، 2022/4/26.

[6] وكالة وفا، 2023/1/30.

[7] البيان الختامي الصادر عن الاجتماع الاستثنائي مفتوح العضوية للجنة التنفيذية لمنظمة التعاون الإسلامي لبحث الاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة على المسجد الأقصى المبارك، منظمة التعاون الإسلامي، 2023/5/24، في: https://www.oic-oci.org/topic/?t_id=38991&t_ref=26432&lan=ar

[8] القمة العربية والإسلامية المشتركة تختتم أعمالها بقرار يطالب وقف العدوان الإسرائيلي وكسر الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة وملاحقة إسرائيل على جرائمها، منظمة التعاون الإسلامي، 2023/11/13، في: https://www.oic-oci.org/topic/?t_id=39919&ref=26755&lan=ar

[9] **القدس العربي**، 2021/5/9.

[10] الجزيرة.نت، 2021/5/12.

[11] وكالة الأناضول، 2021/5/17.

[12] سبوتنيك عربي، 2021/5/14.

[13] وكالة الأناضول، 2021/5/17.

[14] فيديو متداول ليحيى السنوار، مع وكالة الأناضول للأنباء على وسائل التواصل.
انظر: السنوار للأناضول: التهدئة "هشّة" ونُقدّر الدعم التركي لشعبنا، وكالة الأناضول، 2021/5/27.

[15] موقع DW، 2021/5/21، انظر: https://www.dw.com/ar

[16] موقع ترك برس، 2021/5/25، انظر: http://www.turkpress.co

[17] وكالة الأناضول، 2018/5/15.

[18] سعيد الحاج، تقدير موقف: عودة العلاقات بين تركيا و"إسرائيل": ما الجديد هذه المرة؟، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2022/11/21.

[19] وكالة الأناضول، 2020/9/21.

[20] الجزيرة.نت، 2022/3/25.

[21] عرب 48، 2022/1/20.

[22] عرب 48، 2022/2/17.

[23] **الشرق الأوسط**، 2022/3/10.

[24] المرجع نفسه.

[25] **القدس**، 2022/5/25.

[26] **الشرق الأوسط**، 2022/7/7.

[27] الجزيرة.نت، 2022/8/17.

[28] **الشرق الأوسط**، 2022/9/21.

[29] وكالة الأناضول، 2022/10/6.

[30] **القدس العربي**، 2022/10/27.
[31] عربي 21، 2022/11/17.
[32] وكالة الأناضول، 2023/2/14.
[33] الجزيرة.نت، 2023/9/20.
[34] قدس برس، 2022/3/11.
[35] وكالة الأناضول، 2023/4/20.
[36] قدس برس، 2023/4/16.
[37] مؤسسة الإذاعة والتلفزيون التركية (TRT)، 2022/5/11.
[38] عرب 48، 2022/4/1.
[39] قدس برس، 2023/1/28.
[40] **الشرق الأوسط**، 2022/6/24.
[41] **الشرق الأوسط**، 2023/7/3.
[42] وكالة الأناضول، 2023/7/25.
[43] CNN بالعربية، 2023/10/7.
[44] موقع قناة روسيا اليوم، 2023/10/7.
[45] Site of Süperhaber, 4/11/2023, https://www.superhaber.com
[46] الجزيرة.نت، 2023/10/7.
[47] موقع بوابة الحرية، 2023/10/11، انظر: https://alhorianews.com
[48] **الشرق الأوسط**، 2023/10/18.
[49] صحيفة **العرب**، لندن، 2023/10/9.
[50] موقع قناة روسيا اليوم، 2023/10/23.
[51] وكالة الأناضول، 2023/12/1.
[52] الجزيرة.نت، 2023/10/25.
[53] وكالة الأناضول، 2023/12/8.
[54] **الشرق الأوسط**، 2023/11/4.
[55] الجزيرة.نت، 2023/12/4.
[56] **الشرق الأوسط**، 2023/12/6.
[57] إندبندنت عربية، 2024/1/2.
[58] الجزيرة.نت، 2023/10/28.
[59] وكالة الأناضول، 2023/10/21.
[60] سبوتنيك عربي، 2023/10/17.
[61] وكالة الأناضول، 2023/10/25.
[62] الجزيرة.نت، 2023/10/25.
[63] وكالة الأناضول، 2023/11/4.
[64] موقع قناة روسيا اليوم، 2023/11/21.
[65] موقع قناة روسيا اليوم، 2023/12/9.
[66] موقع يني شفق، 2023/12/31، انظر: https://www.yenisafak.com/ar
[67] عربي 21، 2023/11/23.
[68] موقع قناة الميادين، 2022/8/11.
[69] موقع قناة الميادين، 2022/8/8.

[70] The Times of Israel, 7/9/2022.

[71] Excerpt from National Security Adviser and National Security Council Director Dr. Eyal Hulata's remarks on the Iranian nuclear issue and the regional opportunities, to the IDI National Security and Democracy Conference, Israeli Prime Minister's Office, 29/11/2022, https://www.gov.il/en/pages/spoke-democracy291122

[72] موقع قناة الميادين، 2022/11/7.

[73] Leaders of Palestinian and Lebanese groups meet with Iran FM, site of Ministry of Foreign Affairs (Iran), 6/6/2022, https://en.mfa.ir/portal/newsview/682604/Leaders-of-Palestinian-and-Lebanese-groups-meet-with-Iran-FM

[74] موقع قناة الميادين، 2022/4/29؛ وانظر:

Everything is signaling a new equation in Palestine's future, site of Khamemei.ir, 29/4/2022, https://english.khamenei.ir/news/8960/Everything-is-signaling-a-new-equation-in-Palestine-s-future

[75] الجزيرة.نت، 2023/8/13.

[76] الجزيرة.نت، 2023/3/10.

[77] Israeli President Herzog: "Today we saw the true face of Hamas," *The Jerusalem Post*, 7/10/2023, https://www.jpost.com/breaking-news/article-762109

[78] Iranian security officials helped plan Hamas's Saturday surprise attack on Israel, *The Wall Street Journal*, 8/10/2023, https://www.wsj.com/world/middle-east/iran-israel-hamas-strike-planning-bbe07b25

[79] "Statement from President Joe Biden Condemning Terrorist Attacks in Israel," The White House, 7/10/2023, https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2023/10/07/statement-from-president-joe-biden-condemning-terrorist-attacks-in-israel/

[80] موقع قناة روسيا اليوم، 2023/10/8؛ وانظر:

Israel-Gaza updates: Israeli forces preparing for "wide range of offensive plans," site of ABC News, 8/10/2023, https://abcnews.go.com/International/live-updates/israel-gaza-hamas/too-early-to-know-if-iran-involved-senior-wh-official-103812004?id=103804516; and "Statement from President Joe Biden Condemning Terrorist Attacks in Israel," The White House, 7/10/2023.

[81] طوفان 7 تشرين الأول؛ هزيمة استخباراتية وعسكرية للكيان الصهيوني لا يمكنه ترميمها، موقع مكتب سماحة القائد آية الله العظمى الخامنئي، 2023/10/10، انظر: https://www.leader.ir/ar؛ والنص الكامل لكلمة الإمام الخامنئي خلال المراسم المشتركة لتخريج طلّاب جامعات الضبّاط التابعة للقوّات المسلّح، الموقع الرسمي لقائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي، 2023/10/10، في: https://arabic.khamenei.ir/news/7600

[82] وكالة الجمهورية الإسلامية للأنباء الإيرانية (إرنا)، 2023/10/10، انظر: https://ar.irna.ir؛ والنص الكامل لكلمة الإمام الخامنئي خلال المراسم المشتركة لتخريج طلّاب جامعات الضبّاط التابعة للقوّات المسلّح، الموقع الرسمي لقائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي، 2023/10/10.

[83] موقع قناة المنار، 2023/11/3؛ وانظر:

Ultimate victory which is not too far away will be for Palestine, Khamenei.ir, 1/11/2023, https://english.khamenei.ir/news/10278/Ultimate-victory-which-is-not-too-far-away-will-be-for-Palestine

[84] إيران برس، 2023/10/17، في: https://arabic.iranpress.com/aboutus؛ وانظر:

The usurper Zionist regime must be prosecuted, Khamenei.ir, 17/10/2023, https://english.khamenei.ir/news/10210/The-usurper-Zionist-regime-must-be-prosecuted

[85] إيران برس، 2023/10/14؛ وانظر:

The movement started in Palestine will lead to complete victory of Palestinians, Khamenei.ir, 14/10/2023, https://english.khamenei.ir/news/10172/The-movement-started-in-Palestine-will-lead-to-complete-victory

[86] الجزيرة.نت، 2023/10/9؛ وانظر:

The Position of the Islamic Republic of Iran Regarding the Ongoing Situation in the Occupied Palestine, site of Permanent Mission of the Islamic Republic of Iran to the United Nations, 9/10/2023, https://newyork.mfa.ir/portal/NewsView/731039/The-Position-of-the-Islamic-Republic-of-Iran-Regarding-the-Ongoing-Situation-in-the-Occupied-Palestine

[87] رأي اليوم، 2023/10/8.

[88] سبوتنك عربي، 2023/10/13.

[89] وكالة رويترز للأنباء، 2023/11/5، انظر: https://www.reuters.com

[90] الجزيرة.نت، 2023/10/11.

[91] الجزيرة.نت، 2023/10/7؛ وانظر:

"Al-Aqsa Storm" opens new chapter in field of resistance against occupiers: Kanaani, site of Iranian Students' News Agency, 7/10/2023, https://en.isna.ir/news/1402071510005/Al-Aqsa-Storm-opens-new-chapter-in-field-of-resistance-against

[92] موقع قناة الميادين، 2023/10/9.

[93] وكالة إرنا، 2023/12/23؛ وانظر:

We have always declared our support for liberation of Holy Quds loudly, without stuttering/ Supporters of legitimising Zionist regime should answer whether continuation of occupation creates legitimacy for the occupier, site of the President of the Islamic Republic of Iran, 23/12/2023, https://president.ir/en/149006

[94] وكالة إرنا، 2023/12/29.

[95] أمير عبد اللهيان: استمرار هجمات الكيان الصهيوني على غزة سيعقد الأوضاع ويزيد احتمالية توسع الحرب، وكالة مهر للأنباء، 2023/10/8، انظر: https://ar.mehrnews.com؛ وانظر:

Israeli Strikes on Gaza Could Spread War, Iran's FM Warns, site of Tasnim News Agency, 9/10/2023, https://www.tasnimnews.com/en/news/2023/10/09/2968698/israeli-strikes-on-gaza-could-spread-war-iran-s-fm-warns

[96] وكالة الأناضول، 2023/10/13؛ وانظر:

Iranian FM meets Lebanese PM on Palestine, Ministry of Foreign Affairs (Iran), 13/10/2023, https://en.mfa.ir/portal/newsview/731402

[97] عبد اللهيان: استمرار العدوان على غزة قد يفتح جبهات أخرى ضد الكيان الصهيوني، وكالة مهر، 2023/10/13؛ وانظر:

Iranian FM, Hezbollah chief holds talks, site of IRNA, 13/10/2023, https://en.irna.ir/news/85256875/Iranian-FM-Hezbollah-chief-holds-talks

[98] الجزيرة.نت، 2023/10/14.

[99] Site of France24, 16/10/2023, https://www.france24.com; and Iran warns it won't stand idly by if Israel continues barbaric attacks on Gaza, site of Tehran Times, 16/10/2023, https://www.tehrantimes.com/news/490210/Iran-warns-it-won-t-stand-idly-by-if-Israel-continues-barbaric

[100] عرب 48، 2023/10/28؛ وانظر:

Arezou Rezvani and Steve Inskeep, Iran's foreign minister: Armed groups are poised with 'their finger on the trigger', site of National Public Radio (npr), 27/10/2023, https://www.npr.org/2023/10/27/1208575570/irans-foreign-minister-armed-groups-are-poised-with-their-finger-on-the-trigger

[101] إيران برس، 2023/10/14.

[102] موقع قناة الميادين، 2023/12/24.

[103] سبوتنيك عربي، 2023/10/13.

[104] الجزيرة.نت، 2023/10/15؛ وانظر:

Tom O'Connor, U.S. Troops Are on Alert for Iran Allies Joining Israel-Hamas War, *Newsweek* magazine, 12/10/2023, https://www.newsweek.com/us-troops-are-alert-iran-allies-joining-israel-hamas-war-1834295

[105] US privately pushing Israel not to initiate war with Hezbollah — officials, The Times of Israel, 19/10/2023, https://www.timesofisrael.com/us-privately-pushing-israel-not-to-initiate-war-with-hezbollah-officials/

[106] **الشرق الأوسط**، 2023/12/1؛ وانظر:

H.R.5961 - No Funds for Iranian Terrorism Act, site of Congress.gov, 30/11/2023, https://www.congress.gov/bill/118th-congress/house-bill/5961

[107] UK and US sanction leading Iranian military figures and entities following the attack on Israel, site of Gov.uk, 18/4/2024, https://www.gov.uk/government/news/the-uk-and-us-sanction-leading-iranian-military- figures-and-entities-following-the-attack-on-israel; and Statement from President Joe Biden on Iran Sanctions, The White House, 18/4/2024, https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2024/04/18/statement-from-president-joe-biden-on-iran-sanctions/

[108] مركز دراسات الأمة، استطلاع رأي للنخب الأردنية يؤكد تراجع صورة تركيا في العالم العربي نتيجة موقفها من العدوان على غزة، موقع عمان نت، 2024/4/16، انظر: https://ammannet.net

[109] وكالة وفا، 2022/4/17.

[110] الجزيرة.نت، 2022/10/17.

[111] المركز الفلسطيني للإعلام، 2022/11/27.

[112] الجزيرة.نت، 2023/5/19.

[113] وكالة الأناضول، 2023/7/28.

[114] محمد تورونلو، ماليزيا وبروناي تدعوان لإيقاف "الجرائم الشنيعة" في فلسطين، وكالة الأناضول، 2023/8/5.

[115] قادة ماليزيا وكولومبيا وجنوب إفريقيا.. دعم لغزة ورفض للتنديد بحماس، الجزيرة.نت، 2023/10/16.

[116] المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/11/19.

[117] الجزيرة.نت، 2023/10/29.

[118] **الدستور**، 2023/11/7.

[119] بسبب الصراع في غزة.. ماليزيا تمنع سفن إسرائيل أو المتجهة إليها من الرسو في موانئه، CNN بالعربية، 2023/12/20، انظر:

https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2023/12/20/malaysia-bans-israeli-ships-docking-ports

[120] الجزيرة.نت، 2022/3/22.

[121] وكالة وفا، 2022/4/29.

[122] **القدس العربي**، 2022/5/20.

[123] المركز الفلسطيني للإعلام، 2022/5/22.

[124] **العربي الجديد**، 2022/6/2.

[125] وكالة وفا، 2023/1/18؛ وانظر:

Statement by Ambassador Munir Akram, Permanent Representative of Pakistan to the United Nations, during the United Nations Security Council Open Debate on "the Situation in the Middle East, including the Palestinian Question", site of Pakistan Mission to The United Nations, 18/1/2023, https://pakun.org/statements/Security_Council/2023/01182023-01.pdf

[126] قدس برس، 2023/3/11.

[127] قدس برس، 2023/7/5.

[128] وكالة وفا، 2023/10/18.

[129] **العربي الجديد**، 2023/11/3.

[130] **القدس العربي**، 2022/1/25.

[131] **القدس**، 2022/10/24.

[132] وكالة وفا، 2023/1/18.

[133] الجزيرة.نت، 2023/3/29.

[134] وكالة عاجل فلسطين، 2023/9/7، انظر: https://palnews.online

[135] Indonesia Condemns Attacks in Gaz, site of Cabinet Secretariat of the Republic of Indonesia, 19/10/2023, https://setkab.go.id/en/indonesia-condemns-attacks-in-gaza

[136] Patsy Widakuswara, Gaza War Complicates Biden's Meeting with Indonesia's Widodo, site of Voice of America (VOA), 10/11/2023, https://www.voanews.com/a/gaza-war-complicates-biden-s-meeting-with-indonesia-s-widodo/7349395.html

[137] الجزيرة.نت، 2022/4/29.

[138] قدس برس، 2022/7/8.

[139] الجزيرة.نت، 2023/4/8.

[140] الجزيرة.نت، 2023/11/5.

[141] الجزيرة.نت، 2023/10/14؛ ومظاهرة حاشدة.. آلاف الماليزيين يطالبون بالضغط على الغرب لوقف تسليح إسرائيل، الجزيرة.نت، 2024/3/3؛ وقادة وسياسيون ماليزيون يشاركون في مظاهرة منددة للحرب على غزة، الجزيرة.نت، 2024/5/5.

[142] الجزيرة.نت، 2023/12/1.

[143] مظاهرات جديدة تضامنا مع غزة في ميشيغان ونيودلهي، الجزيرة.نت، 2023/10/23.

[144] وكالة كونا، 2023/10/27، في: https://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?id=3120266#؛ وانظر:

'Informed solidarity': Why India's Kerala saw mass rallies for Palestinians, Aljazeera, 15/11/2023, https://www.aljazeera.com/news/2023/11/15/informed-solidarity-why-thousands-hit-kerala-streets-for-palestinians

[145] شاهد: مظاهرات حاشدة في كشمير احتجاجاً على استمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، يورونيوز، 2024/4/5، في: https://arabic.euronews.com/2024/04/05/protests-in-indian-kashmir-against-israeli-military-operations-in-the-gaza-strip

[146] حراك الطلاب تضامناً مع فلسطين يتسع في آسيا.. اعتصام بكوريا الجنوبية ومظاهرة حاشدة في بنغلاديش (فيديو)، موقع شفقنا، 2024/5/9، في: https://ar.shafaqna.com/AR/424677

[147] **العربي الجديد**، 2023/10/28.

[148] مئات المتظاهرين في البوسنة يتضامنون مع فلسطين، وكالة الأناضول، 2024/4/7؛ والآلاف يشاركون في مظاهرة مؤيدة للفلسطينيين في البوسنة، موقع صوت بيروت إنترناشيونال، 2023/10/22.

[149] الشرطة اعتقلت بعض المتظاهرين.. تحركات تضامنية مع قطاع غزة في كينيا، يورونيوز، 2024/1/25، في: https://arabic.euronews.com/2024/01/25/kenya-protest-in-solidarity-with-palestinians-in-gaza

[150] مظاهرات مؤيدة للفلسطينيين في عاصمة النيجر، إيران برس، 2023/10/21.

[151] **الشرق الأوسط**، 2022/10/25.

[152] موقع قناة روسيا اليوم، 2022/11/18.

[153] **الشرق الأوسط**، 2022/10/5.

[154] i24NEWS, 30/5/2023.

[155] عرب 48، 2023/3/5.

[156] **القدس**، 2022/2/9.

[157] **الشرق الأوسط**، 2022/12/22.

[158] عرب 48، 2023/1/10.

[159] عرب 48، 2023/8/3، وانظر أيضاً:
Haaretz, 3/8/2023.

[160] الجزيرة.نت، 2023/2/2.

[161] **الأيام**، رام الله، 2023/3/8.

[162] i24NEWS, 26/3/2023.

[163] See CBS, https://www.cbs.gov.il/he/publications/doclib/2024/fr_trade12_2023/td1.pdf

The Palestine Strategic Report 2022-2023

التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023

هذا التقرير

يسر مركز الزيتونة أن يقدم للقارئ الكريم التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنتي 2022-2023 الذي يصدر للمرة الثالثة عشر على التوالي. وهو تقرير يستعرض بشكل علمي وموضوعي وشامل تطورات القضية الفلسطينية، في مختلف جوانبها، ويحاول تقديم آخر المعلومات والإحصاءات المحدّثة الدقيقة حتى نهاية سنة 2023؛ في إطار قراءة تحليلية واستشراف مستقبلي.

شارك في إعداد هذا التقرير اثنا عشر أستاذاً وباحثاً متخصصاً، وهو يعالج في ثمانية فصول الوضع الفلسطيني الداخلي، والمؤشرات السكانية والاقتصادية الفلسطينية، ويسلط الضوء على أوضاع القدس والمقدسات، ومسارات العدوان والمقاومة والتسوية السلمية، ويدرس المشهد الإسرائيلي سياسياً وسكانياً واقتصادياً وعسكرياً، كما يناقش العلاقات الفلسطينية العربية والإسلامية والدولية؛ وقد طبعت معركة طوفان الأقصى هذا التقرير بطابعها الخاص.

لقد أخذ هذا التقرير موقعه المتميز كمرجع أساسي من مراجع الدراسات الفلسطينية، لا غنى عنه لكل المهتمين بالشأن الفلسطيني. ويأمل مركز الزيتونة أن يكون هذا التقرير إضافة نوعية جادة في ميدان الدراسات الفلسطينية.

أ. د. محسن محمد صالح

ISBN 978-614-494-052-5

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 21 961+ | تلفاكس: 643 803 21 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net